كِشْ ملك

قس بن ساعدة
أدهم شرقاوي

النسخة الأولى © ٢٠١٢

الفهرست

الإهداء

إلى مدرّس اللغة العربية

الذي قذف دفتر التعبير في وجهي وقال :

ستموتُ قبل أن تكتبَ جملة مفيدة !

كلمات

ليست جيدة بما يكفي

٠

لنترك للآخرين حرية أن لا يعجبهم كل ما نكتب

ولنتذكر أننا نحمل قلما لا سوطا !

.

.

١

الحكام والأحذية يحتاجون دوما لمن يلمعهم !

.

.

٢

في الحب يتحدثُ الرجل عن انتصاراته

وتتحدثُ المرأة عن هزائمها

فالرجل أجبن من أن يقول : دمرتني امرأة

والمرأة أدهى من أن تقول دمرتُ رجلا !

٣

الفرق بين اللص والسياسيّ :

أن اللص يسرقك دون أن يحسب حسابا للقانون

أما السياسيّ فيضع القانون أولا ثم يسرقك به!

٤

البعض لا ينقصهم الإمكانيات بل العزيمة

ألا ترى أن الطاولة لها أربع أرجل

ولكنها عاجزة عن السير !

.

.

٥

إذا فشلتَ في رفعِ أحدٍ لمستوى أخلاقك

فلا تدعه ينجح في إنزالك لمستوى أخلاقه !

.

.

٦

أكثر الكتب مبيعا

هي كتب الطبخ وكتب تفسير الأحلام

هذا يعني أننا شعوب طيبة تأكل وتنام !

.

.

٧

ليس كل ما يبدو عملا نبيلا هو كذلك فعلا

فالمصور الذي يطلب منك أن تبتسم

ليس قلقا بشأن فرحك

كل ما يعنيه هو الصورة فقط !

.

.

٨

من المهم أن تفكر بنفسك أحيانا

فأديسون الذي أضاء كوكب الأرض

عجز أن يُضيء قبره !

.

.

٩

الحكومة ضد النقاب على وجه المرأة

ومعه على عقل الرجل !

.

.

١٠

يبقى الرجل بلا نقطة ضعف حتى يحب

وتبقى المرأة بلا نقطة ضعف حتى تكره !

.

.

١١

قال لابنه : سبق وأخبرتك أن أجدادنا ملكوا الدنيا

أظن أنّ الوقت قد حان لأخبرك :

أن البيت الذي نسكن فيه مستأجر !

.

.

١٢

بلادنا حريصة جدا على ممتلكاتنا الشخصية

لهذا تطلب منا أن نحتفظ بآرائنا لأنفسنا !

.

.

١٣

يولد الناس على الفطرة

ولكن الحكومة تجعلهم مواطنين !

١٤

كيف نبقى أصدقاء وأنت كالمنشار

إن لم يأكل لحم الشجر

شعر أنه عاطل عن العمل !

.

.

١٥

أتعرف ما هي الجاذبية يا نيوتن ؟

أنا أخبرك : شيخ في الثمانين يتكىء على عكازه

ويتجه صوب الصوت " الصلاة خير من النوم " !

.

.

١٦

افتحوا الأقفاص ثم دعوا الطيور تختار بين الحرية والأمن

فإن بقي عصفور واحد في قفصه

فقد رضينا أن نعيش في أقفاصكم لآخر لحظة من العمر !

.

.

١٧

لا تصدق رجلا يتكلم عن نفسه

ولا امرأة تتكلم عن الأخريات !

.

.

١٨

الناس كالكلمات يحبون حروف العطف

أكثر مما يحبون حروف الجر !

.

.

١٩

رغم كل الماء العذب الذي تصبه السماء في البحر

إلا أنه يبقى مالحا

فلا ترهق نفسك البعض لا يتغيرون مهما حاولت !

.

.

٢٠

العطاء الحقيقي يأتي من القلب لا من الجيب

حتى المتسول يفرح بالابتسامة كما يفرح بالدرهم !

.

٢١

حين توقف قلبه قالوا : مات

وما علموا أنه مات قبل هذا بكثير

فقد كان جنازة تمشي على قدمين

الفرق أنه كان يحمل نفسه واليوم حملوه !

.

.

٢٢

إذا عيرك الناس ببطئك فأخبرهم أنك تعرف إلى أين تسير

هذا ما قالته السلحفاة لابنها وهي تحضره للحياة !

.

.

٢٣

أول خطوة لإيقافهم عن التصرف كسادة

هي التوقف عن التصرف كعبيد

.

.

٢٤

الحكمة الوحيدة لوجود كل هؤلاء حولي

هي أن أعرف لأي مدى أنا وحيد !

.

.

٢٥

شيئان لا تصدقهما أبداً :

دموع النساء وقلوب الرجال

وشيئان لا تكذبهما أبداً :

دموع الرجال وقلوب النساء !

.

.

٢٦

إذا فشلت في تحقيق مبادئك

فغيّر أساليبك لا مبادئك

فالأشجار تغير أوراقها لا جذورها !

٢٧

إن أصغر قارب يعرف عن البحر

أكثر مما يعرف أكبر ميناء !

.

.

٢٨

كان يجب أن أبتر قلبي لأمنعكِ من الإنتشار بي

ولكني راهنتُ على قدرتي

في احتوائكِ هناك وفشلت

وها هي النتيجة : صرتُ أنا أنتِ !

.

.

٢٩

يحدثوننا عن حقوق الحيوان

ولا يعلمون أننا أمة رائدة في هذا المجال

فالحمار في بلادنا قد يصبح رئيسا للدولة !

.

٣٠

هذا أذان الفجر يا الله

هذا هو النبض الوحيد المتبقي

في جسد هذا الكوكب المريض !

.

.

٣١

يد الجلاد

هي التي جعلتنا إخوة في السوط !

.

.

٣٢

يقولون : " الباب الذي يأتيك منه الريح أغلقه واستريح "

كيف أشرح لهم أني لا أقوى على إغلاق باب

دخلتْ منه الريح مرة تحمل رائحتك !

.

.

٣٣

الصُّبار نبات صريح

يُظهر شوكه كله ليحرس طيبته من الداخل

بعكسنا تماما

نُظهر طيبتنا والشوك في الداخل !

.

.

٣٤

الأسد الإنسان في الغابة يقتل ليأكل

والأسد الحيوان في الشام يقتل ليحكم !

.

.

٣٥

حين يقول لك أحدهم :

قلبي مهجور

فلا تكن أحمقا وتعزيه

فلقد أراد أن يقول لك بطريقة أخرى :

اجعله مأهولا بك !

٣٦

الدساتير التي تحكمنا رجعية جدا

ولكن حين يتعلق الأمر بالرجوع إلى الله

تصبح تقدمية جداً !

.

.

٣٧

أنتِ كيومِ ولادتي

تاريخ لا يمكنني الرجوع قبله !

.

.

٣٨

السوق الأشهر في تاريخ العرب هو سوق عكاظ

هذا يثبت بالدليل القاطع

أننا منذ القدم تجار كلام !

.

.

٣٩

أنا لست عاقا يا وطني كما تظن

أنا فقط أخلع رقبتي بيدي

إذا أرادتْ أن تنحني لطاغية !

.

.

٤٠

قديما كان ولي الأمر إذا وجد أرضا مهملة

أعطاها لمن يزرعها

اليوم إذا وجدها شبكها !

.

.

٤١

الحب شعور أسمى من أن يُختصر

في علاقة تجمع رجلاً وامرأة !

.

.

٤٢

لا تصادق من رمى صديقا له بسهم

فإنه لا محالة مصوب قوسه نحوك !

.

.

٤٣

في اللغة أسماء ممنوعة من الصرف

وفي القلب وجوه ممنوعة من النسيان !

.

.

٤٤

مسكينة هي الأسرة التي لا يجمع بين أفرادها

غير مجموعة مفاتيح لذات الباب !

.

.

٤٥

أيصح صوم الماء يا أمي

وفي كل وضوء أراه يشرب منك ؟!

٤٦

والجولان ببراءة الإبن المهمل يسأل :

لماذا في كل المدن أسد

وحين يتعلق الأمر بي أرنب !

.

.

٤٧

للذين يقدسون المظاهر تذكروا

أن أصغر عصفور

يستطيع أن يطير أعلى من أكبر نعامة !

.

.

٤٨

ما الفائدة إن كنت كالمطرقة لا تؤدي عملها

إلا حين تدوس رأس مسمار / إنسان !

.

.

٤٩

الذين نرفض أن ننزل لمستواهم

لا يعرفون أن ثمة فرقا شاسعا بين التكبر والترفع

الترفع شيء يشبه نصيحة أهلنا لنا ونحن صغار:

إياكم وأولاد الشوارع !

.

.

٥٠

لأن السنبلة لا تتذمر من قسوة المنجل

يظنها الغبي تستمتع بما يفعل

لو فكر للحظة

لعرف أن البعض يعضون على جراحهم لا ضعفا

بل لتستمر الحياة !

.

.

٥١

إذا رأيت رئيسا عربيا يخطب في الناس

تذكر أن الحذاء له أيضا لسان !

٥٢

قال لابنه يوما :

لديك كل المقومات لتصبح سياسيا مرموقا

فأنت أغبى إخوتك

بالإضافة لأنك تعرف كيف تجعلنا نصدقك

على يقيننا أنك كذاب!

.

.

٥٣

القراءة تصنع مثقفا ولكنها لا تصنع كاتبا !

.

٥٤

أكثر من أساء لي هو " أنا "

ولكني متسامح جدا " معي "

ومتفهم حين يتعلق الأمر " بي "

ولو كنت حياديا ما مشيت خطوة " معي "

ولقلت لي إليك " عني!"

٥٥

الليبرالي العربي : تختار له أمه زوجته

وأبوه أسماء أولاده

وحماته أين يسكن

وزوجته كيف يعيش

ثم يقول لك : أنا ليبرالي لأني أعشق الحرية!

.

.

٥٦

سأرتديكِ هذا العيد أيضا

فأنا لا أبدو أنيقا إلا بكِ !

.

.

٥٧

البعض لا يتقدمون مهما حاولت الارتقاء بهم

فأكاديميات الطيران مجتمعة

لا تستطيع تعليم سلحفاة واحدة الطيران !

.

٥٨

الأسرار بنادق نستودعها عند الآخرين

ليصطادونا بها عندما نصبح بنظرهم طرائد !

.

.

٥٩

الغرور هو أن تعتقد أن كل ما يحدث له علاقة بك

أعرف مغرورا ما زال يعتقد

أن السبب وراء جنون البقر

أنه قرر أن يصبح نباتيا فجأة !

.

.

٦٠

قديما كان للقبيلة شاعر وألف فارس

اليوم صار لها ألف شاعر وفارس

طبعا تعرفون ما حل بشرف القبيلة !

.

٦١

ما من مصيبة إلا ولها جانب مشرق ،

العانس مثلا لن تتحمل وزر تحطيم حياة رجل !

.

.

٦٢

وقف المفتي خطيبا بالمطبلين الصغار وقال :

أفضل النفاق كلمة باطل في وجه شعب أهبل

قوموا إلى منابركم يرحمكم الله !

.

.

٦٣

مجنون هذا العالم

رجاله يخافون الصلع

ونساؤه يخفن الشعر الزائد !

.

.

٦٤

تبا لك من بين الأوطان ،

لا وطنا عرفت أن تكون ولا منفى !

.

.

٦٥

أصحاب النبي قديماً

" سيماهم في وجوههم من أثر السجود "

أصحابه اليوم : سيماهم في ظهورهم من أثر السجون !

.

.

٦٦

إلى محرري الجريدة الرسمية :

اكتبوا بصدق لمرة واحدة

إنها مغامرة تستحق التجربة !

.

٦٧

درس في النحو :

الوطن مفعول به منهوب

والفاعل لص كبير مستتر

والوزير ليس إلا نائب الفاعل !

.

.

٦٨

أمريكا تريد إسلاما " مطاطيا "

يضيق ويتسع على مقاس مصالحها

كأن يكون قتال الروس جهادا وقتال أمريكا إرهابا !

.

.

٦٩

في اليوم العالمي لمحو الأمية أحب أن أؤكد

أن مشكلتنا تكمن في جهل المتعلمين

لا في أمية الأميين !

٧٠

فقهاء السلاطين يكثرون الحديث عن التوحيد

هكذا هم البشر أغلب حديثهم عما ينقصهم !

.

.

٧١

في القضاء اختلط الحق بالباطل

وفي السجن اختلط المجرم بالبريء

وفي الجامعات والأسواق اختلط الرجل بالمرأة

هذا ليس وطنا إنه خلاط !

.

.

٧٢

أماه ، إن الصبي الذي كان يطرق باب غرفتك ويقول:

مخيف هذا الليل ، فتحضنيه

قد كبر ويريد أن يطرق باب غرفتك ويقول :

مخيف هو الحنين !

٧٣

أميّ هذا الوطن لا يقرأ ألم الفقراء ولا يكتب أسماءهم

أصم لا يسمع أنينهم

أعمى لا يرى جراحهم

أبكم لا يهدىء خواطرهم

مشلول لا يزور بيوتهم !

.

.

٧٤

من قال أن مجلس الأمن بلا ضمير :

اليوم وقف دقيقة صمت على السفير الأمريكي لأنه شخص

ووقف عام ونصف صمت على السوريين لأنهم شعب !

.

.

٧٥

خطيئة الأمهات الوحيدة أنهن يفطمن أفواهنا عنهن

ولا يفطمن قلوبنا !

٧٦

اتفاقية " النفط مقابل الغذاء"

هي الاتفاقية التي تحصل بموجبها الشعوب العربية على الخبز

ويحصل الحكام العرب على البراميل !

.

.

٧٧

العيد الوطني جنازة صاخبة

يهنىء فيها المعزون القتلة !

.

.

٧٨

لستُ أطلب كثيراً

فقط فنجان قهوة مُر

فغيبي عن خاطري خمس دقائق يا حلوة !

.

٧٩

أحلم أن نتبادل الأدوار

فأصبحُ وطنكَ وتصبح أنت مواطنا عندي

وأفعل بك كل ما تفعله بي

ثم أخبرني بعدها أما زلتَ تراني ابنك العاق ؟

.

.

٨٠

مشكلتنا أننا نجعل من تجاربنا الفاشلة نظريات للحياة

طلاق زوجين يعني فشل زوجين لا فشل الزواج

فراق صديقين يعني فشل صديقين لا فشل الصداقة !

.

.

٨١

كان العربيان قديما إذا ترافقا في سفر قال أحدهما للآخر :

أتحملني أم أحملك ؟

أي أتحدثني أم أحدثك ؟

مبكرين عرفنا أن الكلام مطية !

٨٢

علاقتنا بأوطاننا أشبه بعلاقة قيس بليلى وجميل ببثينه

نحبه

نكتب له وعنه

ثم يمضي مع رجال ما سهروا لأجله دقيقة

ولا كتبوا له بيت شعر واحد !

.

.

٨٣

المُنظّرون كالمطارات يوصلون الآخرين إلى سلم الطائرة

ولكنهم أجبن من أن يطيروا !

.

.

٨٤

الأمة التي لا تبحث عن أحلامها إلا في كتاب ابن سيرين

أمة ما زالت نائمة من حيث لا تدري !

٨٥

الحرب بين الحق والباطل هي ذاتها في كل عصر

ولكن الجنود يتغيرون !

.

.

٨٦

حكومات العالم حين تنتهي صلاحيتها

تصبح حكومة "تصريف أعمال "

حكوماتنا في أوج صلاحيتها

هي حكومة " صرف صحي "!

.

.

٨٧

الأحبة كرصاص قناص محترف

يخترقون القفص الصدري ويستقرون في القلب !

.

.

٨٨

ما أعظم القادة العرب

لم تمنعهم قلة الشجر من تطبيق قانون الغاب !

.

.

٨٩

مساكين علماء هذا الكوكب

يظنون أن الضوء أسرع ما في الكون

ولا يعلمون أن الدعاء يجتاز المسافة بين الأرض والسماء

في أقل من ثانية !

.

٩٠

الذين يتصنعون الفرح

يتألمون أكثر مما لو تصالحوا مع أحزانهم !

.

.

٩١

سيدي الوالي : عندما تحتاج أن يكون الجميع عبيدا عندكَ

فأنت إذا من ذوي الاحتياجات الخاصة

معاق يعني !

.

.

٩٢

احتاج لعمليتي تجميل :

شفط نواياي السيئة

وشد إيماني المترهل !

.

.

٩٣

النمل العامل يجمع الحَبَّ بلا تذمر

لأنه يعرف أن الملكة فرد في الخلية وليست الخلية !

.

.

٩٤

أجمل الحب هو أن تحب الشخص المناسب

في الوقت المناسب

بالكم المناسب

والكيف المناسب !

.

.

٩٥

الكثير من مشاكلنا لا يحتاج لعضلات بل لعقل

فالريح مهما كانت عاتية لا تستطيع انتزاع الرغيف من يد طفل جائع

ولكن النوم يفعل هذا بسهولة ويسر!

.

٩٦

قفزة " فيليكس " إلى أسفل تستحق الإعجاب فعلا

ولكن الذي يستحق الإعجاب أكثر هم عشرات الشهداء في سوريا

الذين قفزوا اليوم إلى أعلى !

.

.

٩٧

في عيد ميلادك سأهديك عينيّ لتنظري في المرآة

وتعرفي كم أنت جميلة بنظري !

.

.

٩٨

الأطباء يعرفون أكثر من غيرهم معنى " الصلاة خير النوم "

فهم يأمرون الممرضين بايقاظ المرضى حين تحين جرعة الدواء !

.

.

٩٩

وحين علمتُ أن الورق يأتي من الخشب

صرت أرى الشجرة دفتراً

والغابة مكتبة

والحطاب عاملا في مطبعة !

.

.

١٠٠

نحن أمة مغرمة بالاتباع في كل شيء

وحين يتعلق الأمر بالدين نبتدع !

.

.

١٠١

في حمص أم ترفع يديها عند كل أذان :

يا رب لا أريد لابني أن يقتل ابن أم أخرى وهو على باطل

فلا تفجعني بابني وهو على حق !

.

.

١٠٢

قسّم النقاد القدماء الغزل إلى عذري وإباحي

ولكنهم ماتوا قبل أن يعرفوا أن ما ظنوه إباحيا

كان عفيفا مقارنة بما نراه من غزل مبتذل !

.

.

١٠٣

في سوريا تقول أم لابنها :

مت كي تكون جديرا بي

ويقول أب :

قلبي ليس على ولدي قلبي على وطن

فيكتب لحبيبته :

مخنث من عشق أحداً أكثر من بندقيته

.

.

١٠٤

الفرق بين الثعلب ومفتي السلطان

هو أن الثعلب يستعمل عينا واحدة عند النوم

ومفتي السلطان يستعمل عينا واحدة عند اليقظة

فلا يرى إلا ذنْب الرعية !

.

.

١٠٥

أماه ، أغار من سبحتك تداعبها أصابعك ،

من سجادة صلاتك تقبل جبهتك

من الصباح تتغزلين به :

ما أجمل الصبح ، أصبحنا وأصبح الملك لله !

.

.

١٠٦

في هذا العالم الإفتراضي من الجيد أن تثبت للآخرين أنك جيد

ولكن " الأجود " أن تثبت للذين يعيشون في عالمك الحقيقي

أنك حقاً جيد !

.

.

١٠٧

أخطر أناس على أية فكرةِ هم أولئك الذين يقفون على الحياد

بين أنصارها وأعدائـها !

.

.

١٠٨

أستعتبرينني شريرا إذا أخبرتكِ : أنـي حين أكون معكِ

أتمنى أن تُصاب عقارب الساعة بالشلل !

.

.

١٠٩

علمتني أسماك " السالمون " أن صاحب القضية

عليه أن يسبح بعكس التيار !

.

.

١١٠

لكثرة " الدواجن "

يخيل لي أحيانا أن الذي وضع مناهج التعليم في بلادنا بيطريون !

.

.

١١١

إن المجتمع الفاسد إذا لم يجد للمصلحين تهمة

عيّرهم بأجمل ما فيهم

ألم يقل قوم لوط " أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون! "

.

.

١١٢

لا نحتاج لعقدة حاجبيك لنعرف أن الدنيا معقدة !

.

.

١١٣

متي ستفهم أن هذه بلادنا وأنت تحكمنا

وليست بلادك ونحن نسكنها ؟!

.

.

١١٤

في الشطرنج المشكلة ليست في الملك فهو حجر يحركه أحدهم

ولكن السؤال هل يليق بملك أن يكون لعبة بيد أحدهم

وإن كان يسكن في البيت الأبيض !

.

.

١١٥

لا تلعن صانع الحبل ولكن إلعن من جعل من الحبل مشنقة !

.

.

١١٦

الجزاء من جنس العمل

فالسمكة التي أحسنت الظن بطُعم الصياد صارت طعاما للعَشاء !

.

.

١١٧

أتعلمين كم هو قاسٍ أن أكتشف أني مخترق من الداخل

وأن قلبي يعمل جاسوسا عندكِ!

.

.

١١٨

الأعمى بإمكانه أن يمتلك بعد نظر إذا عرف كيف يكون صديقا لقلبه

والمبصر أيضا !

.

.

١١٩

يؤكد تويتر أن الرجل حنون يحب المرأة ويقدرها

وأن المرأة رومانسية تحب الرجل وتطيعه

وتؤكد الحياة أن هذا كاتفاقية الدفاع العربية : حبر على ورق !

.

.

١٢٠

.

.

أنظمتنا ليست دكتاتورية كما تعتقدون

فالأنظمة الدكتاتورية تصادر أفراح الناس

أنظمتنا تخطت الدكتاتورية إنها تصادر حتى أحزاننا !

.

.

١٢١

ككل الناس في كوكب الأرض

لا أملك تعريفا واضحا للإرهاب

ولكن بما أن أمريكا وقناة العربية ضده فهو يبدو شيئا جيداً !

.

.

١٢٢

لديّ كل مقومات الدولة :

مفتي لا يخاف الله

إعلام منحط

مرتزقة ينتظرون آخر الشهر

ووعد من أمريكا بالحماية

ينقصني فقط قطعة أرض!

.

.

١٢٣

الوقاحة أن تكون يد الفأس التي تقطع هذه الشجرة

مقتطعة من الشجرة المجاورة

العقوق أن تكون مقتطعة من ذات الشجرة !

.

.

١٢٤

الذي يكثر الحديث عن المتشددين

يحاول بطريقة أخرى أن يقول لك أنه مايع!

.

.

١٢٥

البعض كزجاجة العطر نقترب منهم لنبدو بهم أجمل

والبعض نتحاشاهم لأن فيهم قسوة المناجل على سيقان السنابل

وجشع المناشير على أجساد الأخشاب!

.

.

١٢٦

في سوريا لا يناشدون الحكام العرب

إنهم يعرفون أن الإستغاثة بالأموات ضرب من ضروب الشرك بالله!

.

.

١٢٧

مشكلتنا مع حكامنا هي فارق في التوقيت فقط

نحن نعيش في القرن الواحد والعشرين وهم يعيشون في عصر الإنحطاط !

.

.

١٢٨

مشكلتي مع هذا العالم أني لا أقول إلا ما أريد

وهو لا يريد أن يسمع إلا ما يريد !

.

.

١٢٩

أشتهي أن أعقد معك اتفاقية تبادل للأسرى

تفرجين بمقتضاها عن قلبي !

.

.

١٣٠

ما أعظم التراب ندوسه بقسوة كل الوقت

ثم في نهاية المطاف يحضننا بحنان كما تحضن أم ابنها العاق!

.

.

١٣١

تغريدات الفنانين تؤكد ورعهم وخشيتهم لله

وتغريدات الحكام تؤكد عدلهم

وتغريدات الرعية تؤكد استقامتهم

وهذا كله يؤكد أننا ضحية مؤامرة خارجية !

.

.

١٣٢

كل هروب يلزمه بالضرورة جبان

وحده الهروب إلى الله حرفة الشجعان

.

.

١٣٣

ونحن صغار علمونا أن : " لسانك حصانك إن صنته صانك "

هكذا منذ البداية أرادونا أن نسكت

وأن ندع أحصنة الألسنة ترعى عشب كرامتنا بصمت!

.

.

١٣٤

الطعنة من الخلف مؤلمة جداً

غير أننا لا نعرف ما المؤلم بالضبط طعم الطعنة أم طعم الغدر!

.

.

١٣٥

لو كان للحب دستور يحتكم إليه المحبون

لكانت المادة الأولى فيه :

إن كنا لا نستطيع التحكم بقلوبنا فمن العار أن لا نستطيع التحكم بتصرفاتنا!

.

.

١٣٦

أنا لست عاقا يا وطني كما تظن

أنا فقط أخلع رقبتي بيدي إذا أرادتْ أن تنحني لطاغية !

.

.

١٣٧

أكثر أحاديثنا في كرة القدم والسياسية

ولم يحدث أن فزنا بكأس العالم مرة واحدة

أو حكمنا رئيس لا تباركه أمريكا !

.

.

١٣٨

قبل أن يكون حاكما فيلسوفا يفكر معنا

نريده إنسانا يشعر بنا !

.

.

١٣٩

العصفور في القفص بمأمن من بنادق الصيادين

ولكنه يتوق للحرية لأنه يعرف أن الموت بطلقة على غصن شجرة

أجمل من الذل اليومي في قفص !

.

.

١٤٠

إن العصافير إذا احتفظت بألسنتها داخل مناقيرها

فلن يستدل عليها الصيادون

ولكن بربكم أعصفور حر هذا الذي يقضي عمره بلا تغريد ؟!

.

.

١٤١

الفرق بيننا وبين الصحابة أنـهم كانوا يبحثون في النص عما يمكن فعله

ونحن نبحث فيه عما يمكن تأجيله !

.

.

١٤٢

ما طبخت أمريكا لنا نظاما ولا رئيسا إلا جاء كريها جداً

رحم الله جدتي ، كانت تقول : الطبيخ نفس !

.

.

١٤٣

ليس يأسا ولكن من الحكمة أن تعرف أن البعض لا يتغيرون

انظر حولك : هل استطاع أحد قبلك

أن يقنع الكلاب أن تكف عن النباح !

.

.

١٤٤

من أحب يستحيل أن يؤذي

هذا ما قالته الشجرة للحطاب بعد أن اجتث أختها

وجلس في فيئها

وقال : كم أحب الشجر !

.

.

١٤٥

منذ ٢٥ سنة كانت الأم توضب ثياب ابنها الذاهب إلى قندهار

كأنه ذاهب لعرس

اليوم توضب ثيابه ليدرس في مدينة مجاورة

فتبكي كأنه ذاهب لقندهار فعلا !

.

.

١٤٦

قالوا له : حدثنا عن العدل في بلاد المسلمين

قال : نـهانا الإسلام أن نتحدث عن الغائبين !

.

.

١٤٧

ما أصابك لم يكن ليخطئك

لا تعني أبدا أن تجعل من نفسك دمية يتعلم الناس عليـها الرماية !

.

.

١٤٨

هل تعلم أن الحمير تملك قدرة هائلة على التنكر

أعرف حميراً يتنكرون بهيئة بشر ويعقدون قمة !

.

.

١٤٩

لا تحاكم الآخرين منطلقاً من رغباتك

فتصبح كالأرنب الذي يرى أن الأسد حيوان غبي

لمجرد أنه لا يأكل الجزر !

.

.

١٥٠

صباح الخير يا أمي

صباح العيد على بابك كمتسول يسأل كعكة

كيتيم يشتهي من يدك مسحة

كمشتاق يشتهي منك ضمة

كعاشق مثلي يشتهي منك قبلة!

.

.

١٥١

تقول وكالات الأنباء :

مئة شخص سقطوا في سوريا اليوم

هؤلاء ارتفعوا ، نحن الذين نسقط كل يوم يا أغبياء !

.

.

١٥٢

ما خلا الرئيس بوزير الداخلية إلا وجلس الشيطان يتعلم !

.

.

١٥٣

مساء قهوتكِ المرّة يا أمي ما أحلاها !

.

.

١٥٤

نحن مدينون للغرباء لأنهم يمنحونا فرصة أن نكون على طبيعتنا

فالذين نحبهم أو نكرههم يغيرون طبائعنا

فإما يجعلونا أرق مما نحن عليه أو أغلظ !

.

.

١٥٥

بعض الوسائد محظوظة

كالتي تضعين عليها رأسك الآن !

.

.

١٥٦

ما أجمل أن تكون وزارة أشغال

تشق الطرق المغلقة بينك وبين الآخرين

وتبني جسور الثقة

وتردم حفر الشك

وتزيل عوائق الكراهية والبغض !

.

.

١٥٧

السلحفاة تحمل بيتها على ظهرها طول العمر

خشية أن تكون ضيفا ثقيلا على أحد ولو لليلة !

.

.

١٥٨

أولادي جعلوني أعرف أن دمع أمي عليّ لم يكن دلع نساء

وأن قسوة قسوة أبي معي لم تكن خشونة رجال

منافق هو الحب كم وجها لديه !

.

.

١٥٩

إن كان لك حاجة عند الكلب فقل له : يا سيدي "

مثل هذه الأمثال هي التي جعلتنا حفنة متملقين

وجعل الكلاب يصدقون أنهم سادة !

.

.

١٦٠

لتسعد مع المرأة

يجب أن تملك صبر أيوب وعمى يعقوب

ولتسعدها

يجب أن تملك حكمة لقمان ومال قارون !

.

.

١٦١

الحب كالمطر

بعضنا حبه مطر استوائي لا يتوقف

وبعضنا حبه مطر صحراوي لا يأتي إلا بطلوع الروح

وبعضنا حبه مطر مداري مجنون يصحو شتاء ويمطر صيفا !

.

١٦٢

ازدواجية :

التسامح هو الطريقة التي يجب أن يتعامل بها الآخرون مع أخطائنا

والإنتقام هو الطريقة التي يجب أن نتعامل بها مع أخطاء الآخرين !

.

.

١٦٣

لعبة الشطرنـج تشبه أوطاننا كثيرا

الوزير يفعل بالشعب ما يحلو لـه ، والملك يتفرج !

.

.

١٦٤

المرونـة اليوم هي فن الوقوف مع " الحيط الواقف! "

.

.

١٦٥

لدينا غرام بكل ما هو كلام

ولو كانت البشرية جسدا لكنا فيه اللسان !

.

.

١٦٦

عجيب أمر العرب

قال لهم نبيهم " الخيل معقود في نواصيها الخير .. "

فأبوا إلا مزايين الإبل!

.

.

١٦٧

هذا العالم ليس سيئا كما تظن

إنه أسوأ حتى من ظنك السيء

شاكيرا سفيرة للنوايا الحسنة

وأوباما فاز بجائزة نوبل للسلام !

.

.

١٦٨

ليعرفوا كم يعيش الإنسان بلا طعام

جاؤوا بعربي وأغلقوا فمه

وفي اليوم التالي وجدوه ميتا من قلة الكلام !

.

.

١٦٩

الوطن في الغرب ككرة القدم

لعبة جماعية ويتم استبدال اللاعب المقصر

الوطن عندنا كالغولف

لعبة فردية يؤديها الحاكم وحده كل العمر والشعب جمهور!

.

.

١٧٠

أمريكا تريد إسلاما " مطاطيا " يضيق ويتسع على مقاس مصالحها

كأن يكون قتال الروس جهادا وقتال أمريكا إرهابا !

.

.

١٧١

الإبتسامة الساحرة لا تحتاج لأسنان بيضاء

بل لقلب أبيض

فأجمل ابتسامة هي ابتسامة الأطفال

لأنهم لا يملكون أسنانا ليأكلوا لحمك ثم يبتسمون لك !

.

.

١٧٢

أريد وطناً أربّي فيه أولادي على المطالبة بحقوقهم

دون أن يتهمني بتشكيل خلية إرهابية !

.

.

١٧٣

إن للحكومة هدفا نبيلا في كل ما تفعله بنا

إنها تدربنا على سكرات الموت !

.

.

١٧٤

لا أعرف كيف كان الصحابة

أعرف أن ابن سلول كان ينهض لصلاة الفجر دون منبه

هذا حال من تظاهر أنه منهم

فكيف كانوا هم ؟!

.

.

١٧٥

ناقصة العقل لها في الشدائد عقل ألف رجل

والتي كيدها عظيم إن وجدت رجلا مناسبا صار لديها قلب عظيم

أيوجد فينا رجل له عقل أو قلب أمنا خديجة!

.

.

١٧٦

عققنا أولادنا حين أحضرناهم لدنيا كهذه

فلنربهم جيداً ولا نمارس العقوق معهم مرتين!

.

.

١٧٧

قديما كان الشرف عندنا مرتبطا بالسيوف في ساحة المعركة

اليوم صار مرتبطا بأقدام اللاعبين في ملعب كرة القدم !

.

.

١٧٨

فقهاء السلاطين يكثرون الحديث عن التوحيد

هكذا هم البشر أغلب حديثهم عما ينقصهم !

.

.

١٧٩

لا تستغربوا من الذين يدافعون عن الأنظمة

العصافير التي تولد في الأقفاص تحسب السجان ربا والقفص وطن !

.

.

١٨٠

لو أننا نـهتم بما ستكتبه الملائكة في دفتر الحساب

كما نـهتم بما سيكتبه موظفو البنك

لصافحتنا الملائكة في الطرقات ، ولكننا نتعزى بمصافحة بعض !

.

.

١٨١

الحيوانات المفترسة في السيرك لا تـهاجمكَ لأنـها مُروضة

بل لأنـها تراك وجبة هزيلـة لكثرة ما نـهش الناس لحمكَ !

.

١٨٢

الأمة المتحضرة هي التي تكشف العقل وتغطي العورة

لا التي تغطي العقل وتكشف العورة !

كش ملك

.

.

الكِتابة حمَاقاتٌ ذاتُ طابَع أدَبيّ

والكاتِبُ أحمَقٌ أفلحَ في تحْويلِ حُمْقِه إلى لُغة

وإمعَاناً في الفضِيحة وثَّقهَا على ورَقٍ

كلمتان خفيفتان : هَاردْ لك!

.

.

.

نافِذة

.

.

إذا كُنتَ تُمنّي نفسكَ بشيءٍ جديرٍ بالقراءة فأنتَ حتماً في المكان الخطأ

كانتْ هذه خُطوة عاثرة مِنك

دَوّنها في سِجلّ خطواتِك الكثيرةِ من هذا النَّوع

.

حِفاظاً على حِذائِك تركتُ لكَ النَّافذة مُشرعَة

عُدْ أدراجَكَ فليسَ من الحِكمةِ أن تمشِيَ حافياً في زمنِ الطرقِ المَرصُوفة بالشّوكِ

أشْرعتُ النَّافذة لكَ لأني مثلكّ أختنقُ بالحُجراتِ ذواتِ الجُدران مَنزوعةِ

النَّوافذ

.

أشْرعتُها لكَ كموائدِ الفقراءِ لأنّهم يعرفونَ أكثرَ من غيرِهِم معنَى الموائدِ المُغلقةِ

والأرغفةِ المرصُودَة ،

بِودّهم لو أوْلمُوا لك قلوبَهم لا برهاناً على حُسْنِ الضِّيَافة

بل لأنّهم لا يحتاجُونها اللحظة وبهذا يدَّخِرونها لديكَ

فلا يعرفُ الإنسانُ متى يحتاجُ لقلبٍ يتكىءُ عليه

.

أشْرعتُها لك كأحْلامِ اليقظةِ ، حفرةٌ يردِمُ فيها الرِّجالُ في وطني تعبَ اللحظة

وشَاشٌ ملوّثٌ تُضَمِّدُ به النّسْوة أوجاعَهُن...

.

أشْرعتُها لك كانتظار أمي ، أعودُ إليها آخر الليلِ فتقول لي:

لقد انتظرتُكَ طويلاً على عتبةِ النبض ، وقد تعبتُ من فرطِ ما انتظرت ،

فأعرفُ وقتها أنها كانتْ تريدُ أن تقول:

تباً لكَ ، أيّة صَفقةٍ خاسِرةٍ كانتْ انجابك

.

.

أرى أنكَ ما زلتَ هنا

يبدو أنّ حذاءكَ فقد بوصِلته مُجدداً ، ولم يعدْ يعرفُ إلى أين يذهبُ بك ،

عموماً هذا ليسَ بالأمر السَّيء كما تظن ،

فحين لا تعرفُ إلى أين تذهب فكل الطرقِ تؤدّي إلى هناك!

.

أنتَ لم تغتنم تلك الفرجة في الجدار التي اصطلحوا على تسميتها نافذة ،

يوماً ما ، كان على رجلٍ ما ، أن يختارَ بين أن يسْتر عُرْيَه خلف أربعةِ جدران

وبين أنْ يكونَ حراً كالريحِ وأصواتِ العصَافير وكل تلك الأشياءِ التي تعبرُ

الخط الفاصِلَ بين زنزانتينِ دونما حاجةٍ إلى تأشيرةِ مُرور !

الحَياءُ دفعَه لاختيارِ الجِدرانِ وحينَ اشتاقَ للفضَاءِ ثقبَ جداراً وهكذا وُلدت النوَافِذ!

هل تعرف كيفَ وُلدت الأبوابُ ؟ ولِمَ ؟

وُلدت الأبوابُ من خشبٍ كي تحولَ بين الملكِ و الرَّعيّةَ

وكي يطرقِها الفقراءُ فلا يُفتحُ لهم

وكي تسْترَ وجوهَ الأغنياءِ حينَ يقولونَ للفقراءِ : اغرُبُوا

.

كيفَ يكونُ المسَاكينُ مدفوعِينَ بالأبوَابِ إنْ لمْ يكنْ هُناكَ أبوابٌ أصلاً ؟!

.

أرى أنّكَ ما زلتَ هُنا

بالنسبةِ لي هذا مؤشّرٌ سَيءٌ ، لأننا حينَ نكتبُ نتعرى من كل الوجُوهِ التي أنفقنا أعمَارنا بإعدادِها في غرفٍ مقفلةٍ

كم هو مخيفٌ أن يبدوَ الإنسانُ عارياً من مُسْتحضراتِ البراءَة!

كمْ هيَ مرعِبَة وجوهُنا حينَ تخلْعُ عنـها اكسسواراتِ الطِيبة

كلُّ الأشياءِ الشَّفافةِ جميلة ، وجوهُ البُحيراتِ ، حبَّاتِ المَطرِ ، ضَحِكاتِ

الأطفالِ التي لم تتعلمْ المُجَامَلة بعد ، ولم تعثرْ على عُلبة تلوينٍ لتكونَ

صفراءَ كضَحِكَاتِ الكِبَارِ

وحدَهَا وجوهُ البشرِ تبدُو مرعِبة إذا قبضنا عليْهَا عارية صَباحاً وإنّـها تمامُ

الثامنة!

.

.

.

خلفَ النـافـذة

.

.

في وطنِـي النسَاءُ سبَايا الرّجَال

والرِّجالُ مَطايا الدَّولة

والدَّولة بغِيُّ المَلِك

والمَلِكُ والي أمريكا على رقعةِ شَطرَنج

وحين تعثرُ على رجلٍ أنذلَ منه

ستقولُ له : كِشْ ملكْ

.

.

.

في وطنِي ديمُقرَاطِيّة وانتخاباتٌ

وأمواتٌ يأتونَ من المقابِرِ يُدلون بأصواتِهم

ثم يمُوتونَ من جَدِيدٍ

ما أجملَ أن تموتَ ويبقى الوطنُ حيّاً فيك!

.

.

.

في وطنِي نصنعُ الآلِهَةَ من تمْرٍ ومن خَوْفٍ

ونعبُدهَا...

وإذا اسْتلَّ ابراهيمُ فأسَه ليَحْطِمَها قطعنا له يدَه

ثم نرَدّدُ بصوتٍ واحدٍ على مسَامِعِ الصَّنَم:

"تحيا اللاتُ والعزّى"

ونفترقُ بعدَها لنؤدي صَلاة العَصْرِ في جماَعَةٍ

ويغْسِلُ الإمَامُ ثيابَنا من دمِ ابراهيمَ مستخدماً جرعة مُرَكّزة من " بيرسيل "

:

إنّ ابراهيمَ نزعَ يداً من طاعَة

.

.

.

في وطنِي كلٌّ يبنِي على شَاكلتِه

لهذا جدارُ مُبارك

واطِــــي

.

.

.

في وطنِي نؤسّسُ الأحزابَ باسمِ اللهِ

وندخلُ الإنتخاباتِ باسمِ اللهِ

وحينَ نصلُ إلى المَجْلسِ نفضُّ الشَّراكَة معَه فالسّياسَة فنُّ المُمْكِن

.

في وطني نؤلفُ الحكومَة باسم الله

وزارة المياه : (...فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ...)

وزارة الطاقة : (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ..)

وزارة الصحة : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)

وزارة الدفاع : (... فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)

وزارة الخارجية : (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ...)

.

وإن جنحوا للحربِ ؟ ؟ ؟

.

... (وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)...

وزارة الداخلية : من حُسْنِ إسلامِ المَرءِ تركه ما لا يعنيه

وزارة الإقتصاد : أنتَ ومالكَ لأبيكَ ، وأنتَ وأبوك وأمك واللي خلفوك لفخامةِ الرئيس

وزارة الثقافة : تُحذر ، القراءة تؤدي إلى عواقبَ وخيمة

وزارة الإعلام : علموا أولادكم أذكار روتانا ،

ومسلسلات أبناء عبد الحميد الذي رفض أن يبيع بيت المقدس بأطنان الذهب ففوض العربُ محمود عباس ليبيعَ ببلاش ،

ودعارة ستار اكاديمي

وزارة المواصلات : (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)

.

.

.

في وطني ملوكٌ ورؤساءٌ وصولجانٌ وتيجان

وأمراءٌ ووزراءٌ وساسة وعبيدٌ ترعى بسلام

ومساجدُ ومنابرٌ وخُطبٌ توزّعها وزارة الداخليّة مسَاءَ الخميسِ

ويجترُّهَا الخطباءُ يومَ الجُمعة

وختامُهَا مسْك : اللهم هيِّء له البطانة الصّالحة

ويكأنه الحكيمُ الرَّشيدُ المبتلى بزمرةِ اللصُوص

.

.

.

في وطني تسقطُ المدنُ كأحْجَارِ الدُومينو

حَجراً اثر حجر ،

أي حجرٍ هو الواقفُ خلفَ بغداد ؟!

فكلَّ يومٍ يرسمُ جنودُ النيتو بأحذيتهم حُدوداً جديدة

من تغريبةِ بني هلال

مروراً بتغريبة بني غزة

وصولاً إلى تغريبة بني العراق

عمتم مساءً معاشر الغرباءِ مع وقف التنفيذ!

.

.

عن الرجال في زمن أوباما

.

.

ها أنتَ الآن تُحتضرُ

وأنا عبثاً أبحثُ عن كلامٍ أزفكَ فيه لمثواكَ الأخير

لقد اخترتُ يا صاحبي _ كما ترى _ أن أزفكَ بدلَ أن أشيّعكَ

: فإنَّ عجُوزاً أخبرتني مرةً

أنّ الأمواتَ يعُودون ليلاً ليطمئِنوا إلى أحبائهم

! وأنا أصدّقها رغم أني كل ليلة أنتظرها ولا تأتي

!أعرفتَ الآن يا صَاحبي لمَ لا أنام ؟

مُؤلمٌ هو الإنتظارُ ، وباهظُ الثمن

والمُؤلمُ أكثر حاجتنا لما ننتظر

لهَذا لا تلُمنِي حين أكره الشُّرفات والنَّوافذ والمَحطات والمطارات

! وكل ما يمتُّ بصِلَةٍ للإنتظار

.

.

.

.

.

دعكَ من ذا الآن وتعالَ نتذكر

فالذاكرةُ هي العباءَة الوحيدة

التي لا يستطيعُ العربيُّ أن يخلعها ويهرب

وعُد بكَ / بي إلى مَطلع القصيد

قالَ الأوائلُ : لا بدَّ للقَصيدةِ من طلل

فقِفْ بنا هُنيهةً على أطلال مَشهد ما شهدناه

هناكَ حيث التقى غريبان على غيرِ مَوعدٍ

! فقالَ الغريبُ للغَريبةِ : ما أجملكِ

! فاحمرّتْ خَجلاً وقالتْ : أمسِكْ عليكَ قلبَكَ

! فقالَ : لا أطيقُ ، أمسكِيه لي

وهكَذا ضمتكَ إلى بطنها فخرجتَ غَريباً من غير سُوء

في تمَامِ الوَاحدةِ ليلاً

هكَذا هُم اللصوص يا صَاحبي يتَّكِئُون على عكاز الليل

! كَيْ لا يشعر بهم أحد

.

.

.

.

.

.

أخبِرني الآنَ ، أما زلتَ تُوقر هذا العالمَ يا صاحبي

مُدَّ رجليكَ

هذا العَالمُ لو كانَ طِفلاً لكَانَ ابنَ شَوارع

ولو كانَ امرأةً لكانَ غَانيةً

ولو كَانَ رجُلاً لكانَ حَاكماً عَربياً

! هَذا مع الاعتذارِ للرَّجال

.
.
.
.
.

كُنا صِغاراً يا صَاحبِي
وكانتْ أكاذيبُ الكِبارِ تنطَلي علينا بيُسرٍ
قالوا لنا : عندمَا تكبرون ستُصبحُ الدُّنيا أجمل
فكبرنا على عجل واكتشفنا أنـهم كانوا يكذبون
! وما عاد بالإمكان أن نرجعِ القهقرى
أخبرونا كثيراً حتى تعبنا من الخبر

فأخبرنا يا ابن حنبل
" أن من برَى للظالِم قلماً حُشر معَه "
وزدنا من الشّعر بيتاً يا أحمد
! من حَاكَ مَلابِسَ الظالمين ليسَ عوناً لـهُم بل هو مِنُهم

أخبرنا يا خطاب أن الجنَّة تحتَ ظِلالِ السُّيوفِ
! لا تحتَ أقدامِ ولـيّ الأمر

أخبرنا يا سيّد أن العملَ مع اللهِ شرفٌ من العيبِ الإعتذارُ عنه
! وأنَّ القائِدَ لا يأخذُ بالرُّخصةِ وأنَّه لا تَجوزُ التَّوريةُ في العقيدة

أخبرنا يا أحمد ياسين

! أن المشلولَ يستطيعُ أن يسبقَ الأصحاءَ للجنَّة

أخبرنا يا عبدَ العزيزِ الرَّنتيسي

! أنَّ أي سُلطَةٍ تحتَ الإحتلال هي خِدمةٌ للمُحتل

! وأن اللَّغة الوحيدةَ التي تفهمها إسرائيل هي لُغة الحِراب

أخبرنَا يا عبدَ الله عزام

أنَّ الذي يَموتُ في قندهار يموتُ أقرب للقدسِ

ممَّا لو ماتَ خَانعاً في رَام الله

أخبرنا يا أنور العولقي

أنَّ أمريكا تقتلُ مُواطِنيها حينَ يقولُونَ : ربِيَّ الله

أخبرنَا يا أسَامة

أنَّ الجَاهليَّةَ أن تموتَ وفي عُنقكَ بيعة لجاهليّ

أخبرنَا يا بيتَ اللهِ مَحسُود

أنَّ الخيلَ معقودٌ بنَواصِيها الخيرَ وأن السباق الحقيقي

! ليسَ في مِضمارِ مَزايين الإبل

أخبرنا يا باساييف

! أن القدَمَ المَقطوعة بإمكانِها أن تطأَ رأسَ فلاديمير بُوتين

أخبرنا يا مُلا عمر

! أنَّ اللهَ أصدق من أمريكا ولو صدّقها كل العرب

.

.

.

.

.

هنا بلادُ العرب يا صاحبي

! هنا السّجنُ للرجالِ من زمنِ ابن تيمية

" وهنا ابن القيم ينادينا " يا له من دينٍ لو كانَ له رجال

هنا ألفُ " أبا رغال " يدلون أبرهةَ البيتِ الأبيض

! عمن يعبدُون ربَّ البيتِ العتيق

وربُّ الإبلِ ما عادَ يكترثُ لها

فقانونُ مكافحةِ الإرهابِ

! يجيزُ للوالي أن يُعدم العنزةَ التي تراها أمريكا جَرباء

هُنا فقهاءُ المَارينز

يُخبرونكَ أن الإسلام دين المَذلة

فإذا صَفعتكَ أمريكَا على خدِّكَ الأيمن

! فأدرْ لها قفاك

هُنا رام الله

هنا عبّاسُ وفياضُ الخونة في لباسِ الثوار

هُنا عُريقات يُفاوضُ على التنازل عن آخرِ لاجِىء

! " هُنا يَاسر عبد ربه " السَّفيهُ يتكلمُ في أمرِ العامة

هُنا غزة

!من قالَ أن المَعدة الجَائعة لا تُقاتل ؟

هنا المُجاهدون لا يعنيهم ما الذي يدُور في المَجلسِ التَّشريعيّ

هُنا الأبطالُ الذين يُهرّبونَ الرَّصاصَ في الأنفاق كما يُهرَّبُ الحَشيش

! هُنا مسجدُ ابن تيمية غسلوا الدَّم عن جُدرانِه وأعادُوه لوزارةِ الأوقاف

هُنا درعا

هُنا الأطفالُ يفعلون ما يعجزُ عنه الرِّجال في بلاد أخرى : يُشعلون ثورة

وهُنا حمص التي لم يبق فيها حجرٌ على حجر

هُنا حماة المحكومَة بالموتِ

هُنا ديرُ الزُّورِ وشَهامةُ البَدوِ

هُنا دمشقُ هنا الشبيحة يرفعون أذانهم

لا إله إلا بشار " أستغفر الله العظيم "

" هنا المسجدُ الأمويّ يقول لهم اخرسوا " لا إله إلا الله

! والقِرداحةُ ستُفتح فاذهبوا أنتم وربكم بشار إلى طهران

! هنا الذين أضلَّهم الله على علمٍ : البوطي وحسون

! هنا بشار مرعوب يُسلِّمُ قبلَ الإمام

هنا بغداد

! لو عرفَ المَنصورُ أن نوري المَالكي سيحكُمها ما بنَاها

هُنا الرَّماديّ والفلوجة وديالى

هنا مثلث رعب أهل السنة

وأحفاد الرشيد

هنا بنغازي

! " تعيد لأوباما سفيره في تابوت " هذه بضاعتكم ردت إليكم

هنا الخرطوم

هنا بيضُ القلوبِ يُضرمونَ النَّارَ بسفارة أوباما

وهنا المتخاذلون

! هُنا البشيرُ يُهدي سلفا كير نصفَ السُّودان

هنا الرّياض

هنا أحفادُ الصَّحابة

هنا الرِّجال خطابُ وبن لادن ويُوسفُ الأحمد

هنا سعيد بن زعير

! هنا العلماء الذين لا يعرفون طريق الديوان

وهنا الأذلاء

هنا سجون محمد بن نايف

! هنا الحجاج يراقص بوش في دولة عبد الله بن الزبير

هنا دبي

هنا السجناء الذين لم يقعدهم الترف عن الحق

" هنا الذين رفضوا " أطعم الفم تستحي العين

فلا حياء في الحق

! هنا ضاحي خلفان يستمع لمادونا وينتقد الإخوان

.

.

.

.

.

وهنا أنا يا صاحبي

غريب كما عرفتني

! ماذا يجيد الغرباء إلا الكلام

جفّ الحبر بي

وما زلت أنتظر أن تأتي العجوز لتطمئن إليّ

: فإن حضرتْ وأنا نائم فقل لها

! حفيدك يا كاذبة قد ملّ الإنتظار

.

أنت والأبراج

.
.



عزيزي مولود برج الحمل:

على الصَّعيدِ المهنِيّ هناكَ خطرٌ يتهددُ وظيفتكَ لأنّ المديرَ الجديدَ بصَددِ تنفيذِ بعضِ الإعداماتِ ، ليسَ بسَببِ الأزمَةِ الإقتصَاديّةِ الخانقَةِ بل بسببِ تقاريرَ يعتزِمُ زملاؤكَ في العملِ كتابتها فيكَ.
فبادرْ بإعدادِ تقريرك وإن صَحا ضميرُكَ فجأةً فأخبره أنّكَ تدافِعُ عن قُوتِ عيالكَ فسَينامُ من جديدٍ.

على الصَّعيدِ العائِليّ ستحرَدُ زوجتُكَ في بيتِ أهلِهَا لعدَّةِ أيامٍ احتجاجاً على راتبكَ الهزيل الذي يصِلُ للخامِسِ عشرَ من الشَّهرِ مقطوعَ الأنفاسِ فلا تضعُفْ ، فسيردُّها والدُها بعد أن يعطيهَا محاضَرَةً في التقشّفِ لا لأنّه من المتقشفينَ بل لأنّ أولادَكَ لا يمكنُ لأحدٍ أن يستحمِلهُم لأكثر من ثلاثةِ أيامٍ.

على الصَّعيدِ الوطنِيّ لا تنسَ أنّ الحملَ عبارة عن خروفٍ صَغيرٍ ،
والخِرافُ مخلوقاتٌ وديعَةٌ و " الرَّاعي اللي تعرفه أحسَن من الرَّاعِي اللي
ما تعرفُوش. "

أنثى الحمل : لا تنسِي أنكِ صِرتِ في الثلاثينَ من العُمر وأنتِ في طريقِكِ
لتصبحي عانسْ رسمي!
يؤسِفنِي أن أخبركِ أنَ الفارسَ الذي حلمتِ أنه سيأتي لتحتِ بلكُونة أبيكِ
على فرسٍ أبيضَ قد لطشَته امرأةٌ أخرى
لهذا عليكِ أن تعيدِي حساباتِك وتفكري بالتنازِلِ عن بعضِ شُروطك
الصّعبة ولا أخفي عليكِ بأنّ موقفِك التفاوضِيّ هزيلٌ جداً فكونِي واقعية
وتذكَّري مقولَة جدَّتك : " ظل راجل ولا ظل حيطة"

.
.



عزيزي مولود برج الثور:

راتبُكَ سيشهَدُ تحسُّناً طفيفاً لأنّ الحُكومَات س " تحلبُ صَافي " هذه الأيام ولكن لا تغتر بقرنيكَ يا رعاكَ الله لأنّ رواتب موظَّفِي وزارةِ الداخليّة قد تضاعفتْ!

على الصَّعيدِ الصِّحيّ اطمئِنْ فلا خطَر يتهددُ صحَّتكَ فهراواتُ رجالِ الأمنِ لا تطالُ إلا الناس في الشَّوارعِ.
كمَا أنّ الزِّيادة الطفيفة في الرَّاتبِ لا تكفي لإصلاحِ كسرٍ بليغٍ في الجُمجُمة فاستهدِي بالله أخي الثور وإلزم بيتكَ.

حياتُك العاطفيّة ستشَهدُ هدوءاً نسبياً لم تعهده من قبل وهذا مردّهُ أنّ بقرتكُم المصُون تخطِطُ لاستثمارِ الزّيادةِ الطَّفيفةِ في راتبِكَ لإنجازِ بعضِ الإصلاحَاتِ المنزليّة المؤجّلةِ فلا تستعجِل الفرح فسترجِعُ الأمورُ لمجاريهَا حينَ تنتهُون من هذه الإصلاحَات.

أنثى الثّور ، أنتِ مخلوقٌ عاطفِيٌّ جداً ، وحسَنُ النيّة جداً ، ولكنّكِ لا تهتمينَ بمظهَرِكِ بما فيه الكفاية فلا تنسي أن الذي يعودُ متعباً من العمَلِ

يريدُ أن يسمَعَ كلمةً طيّبةً ويشُمِّ ريحاً عطِرةً.

إذا بقيتِ على هذه الحال فإنّ الثور سيكونُ ثوراً فعلاً إنْ لم يفكّرِ أن يرعَى خارِجَ البيتِ على سُنّةِ اللهِ ورسولِه طبعاً

.

.



عزيزي مولود برج الجوزاء:

أنتَ إنسَانٌ متهوّر وتُقدِمْ على الأمُورِ دونَ تفكيرٍ عميقٍ ومُطوّل.

كما أنّكَ تميلُ لتقليدِ الآخرينَ وقد انتشرتْ ظاهرة حرقِ النّاسِ أنفُسِهِم

فمِنَ الحكمَةِ أن لا تحمِلْ ولاعتَكَ حين تشاهِدُ نشراتِ الاخبار!

فأولاً : قتلُ النّفسِ حرامٌ ولو أدّى لإقامَةِ الخِلافَةِ

وثانياً : لا تعتقِدْ أنّ ما يفصِلُ النّاس عن الثّورةِ هو رائحَةُ لحمِك المشويّ

فهناك ما يراه النّاسُ كل يومٍ ، ويعيشُونه كلّ لحظةٍ وهو أكثر استفزازاً للكرامَاتِ من رائحَةِ شوائِك!

ستُصابُ بخيبةِ أملٍ عاطفيّ هذا الأسبُوع لأنّ الفتاةَ التي أضافتكَ على الماسنجر وأخبرتك أنّك فارس أحلامِهَا وأنّكُما ولدتُمَا لبعضٍ فنمتَ تحلُمُ بشعرِها الأسود الطويل كما وصفَتْه لكَ ليستْ إلا صديقك " راشد " الذي قررَ أن يشتغِلَ بكَ لأنّه وكمَا تعرف عاطلٌ عن العمَل!

أنثى الجوزاء:

ليستْ نهايةَ الدنيا أنّ أهلكِ لم يوافقُوا على الشّاب الذي تقدّم لكِ فدعي عنكِ أفكار الآكشن كالهربِ معه والسّكن في شاليه مستأجر لأسبُوعٍ وبعدَها " يخلُقُ الله ما لا تعلمون. "

إنّ المرأة التي تخرُجُ من بيتِ أبيها لبيتِ رجُلٍ آخر عبر النّافذة لا عبرَ الباب ستُفتحُ لها بعد ذلك أبوابٌ كثيرةٌ ولكنّها ستبقَى بقيمَةِ الأحذيةِ التي يخلعُها أصحابُ الأبوابِ عندَ العتبَةِ!

امرأة الجوزاء:

خافي الله في زوجك فما هو إلاّ ابن امرأةٍ أخرى!

.

.



عزيزي مولود برج السّرطان:

حياتُك ستشهَدُ انفراجاتٍ على أكثر من صعيدٍ:

مادياً كان قراراً صَائباً منك أن تشتري أسهُماً في شركةِ استيرادِ إطاراتٍ فالطلبُ على الإطاراتِ سيرتفِعُ وقد كانتْ قراءةً جيّدةً منك لحركَةِ السُّوقِ ، فمرحى لك.

سِياسياً الحكومَة راضيةٌ عنكَ كثيراً لأنك مواطِنٌ نموذجِيٌّ وكثّر الله من أمثالك.

يقشعِرُّ بدنُكَ حين تسمَعُ النشيدَ الوطنِيّ قبل المباراةِ و" تفِشْ " خلقك بزوجتك بعد المباراة وكأنها من وضعَ تشكيلة الفريقِ ، أو أهدر ضربة الجزاء ، أو أخفقَ في تنفيذِ مِصيدة التسلُلِ فصَادُوكم بثلاثة صفر ، المُهم كلُّه لأجلِ الوطَنِ يهون!

كما أنك تدفع الضرائب بانتظامٍ وراضٍ بقسمَةِ الوطنِ بين الله وكسرى فكل ما في المسجدِ لله وكل ما خارجه لكسرى!

عاطفياً أنتَ تسيرُ في الطريقِ الصَّحيحِ فأم عبدُه لا تريدُ أكثر ممن ينفقُ على أولادِهَا وأنت لا تريدُ من أم عبده أكثر من أن تتكتَّم عن الموضوع!

أنثى السّرطان:

جميلة هي الصُّور التي تضعينَها في بروفايلك في الفيس بوك ، فهذه الكميّة الرَّهيبة من القلُوب الحمراء والدببة البنية ستُعطِي عنكِ انطباعاً أنّكِ رقيقة وأن دمعتَكِ سخيةً فحتى ذبحُ رأسِ بصَلٍ في المطبَخِ من شأنِه أن يستجلبَ دموعك

دعكِ من مساعدةِ أمك في الجلي فلا شيءَ يستحِقٌّ أن تخسري نعومة يديكِ لأجله

امرأة السرطان:

حفاظاً على أظافرك أطلبي من زوجك أن يشتري لك كيبورد تاتش.

.

.



عزيزي مولود برج الأسد:

الزئيرُ المُستمَر في البيتِ بداعٍ أو بدونهِ
ليسَ وسيلةً ناجعَةً في تطويعِ امرأةٍ فحافظْ على حنجرتِكَ.

على الصّعيدِ المِهنِيّ تذكّر أنّك تتلقَى راتباً مقابلَ ما تقومُ به
فلا تُشعِرْ مراجعيكَ أنّهُم عبيدُ اللي خلّفوكَ وأنكّ تخدُمهُم كرم أخلاق منك.

تذكري دوماً عزيزتي مولودة بُرج الأسد أن اللبوَة بنت الحلال لا تُمنن
زوجَها إذا أنفقتْ شيئاً من مالِهَا على زوجها أو عيالِها.
وقد كانَ لكِ في خديجة بنت خويلدٍ رضيَ الله عنها " أسوة حسنة. "

.
.



عزيزي مولود برج العذراء:

أنتَ إنسانٌ عمليّ ومواضب ولكن بعض جوانب حياتك بحاجة لالتفاتة منك:

على الصّعيدِ الأسَريّ أشعِرْ زوجتكَ أنّها تقومُ بشَيءٍ ذي أهميّةٍ فإذا كنتَ المسؤولَ عن جلبِ الثّروةِ القابلةِ للتبديدِ على مطَالبِ الحَياةِ فإنّها تُنمّي وتربي لك الثّروة القابلة للاستمرار.

على الصَّعيدِ الوطنِيّ لا تأسَفْ لأنّهُم اقتسَمُوا الوطنَ ولم يستدعُوكَ لحضُور القسمَة فيا بختَ من باتَ مأكولاً ماله ولم يبِتْ آكلاً لمَالِ النَّاس!

لا تنسِي سيِّدتِي العذراء أن أجمَل مستحضَرِ تجميلٍ تمَّ استخدامه يوماً هو الحياء ، فضعِي منه ما استطعتِ وتذكّري دوماً أنّ أجمل دورٍ تقومُ به الأنثى في الحَياةِ هو أن تكونَ أنثَى!

.

.



عزيزي مولود برج الميزان:

أنتَ إنسانٌ عصبيّ جداً وهذا أمرٌ سيضُرُّ بصِحتِكَ نهايةَ المَطاف.

حاولْ أن تغيّر تكتيكاتِكَ في الحياة ، كأن تأخذ الأمورَ ببساطَةٍ

وحاذِرْ أخي الميزان أن تكفرَ بازدواجيّةِ الأخلاقِ العربيّة التي تسمحُ بإجارَةِ المُستجيرِ كائناً من كان ، ثم تتفرج على غزّة تُقصف بالفُسفُور الأبيض ، وعلى العراقِ يتقاسمه الرُّومُ والفُرسُ ، وعلى السُّودانِ يُقسَمُ كقطعةِ بيتزا.

على الصعيد الأسري تذكر أن الزوجة محقق رهيب فحاذر أن تكون إجاباتك متناقضة

امرأة المِيزان ، أخيراً منّ الله عليكِ بابن الحَلالِ ، تذكّري أنّكِ كنتِ تُقسمينَ دوماً أنّه إن أتى فستحبينه وتحترمينَه ، كما أنّك أقسمتِ أن تُحبّي أمه وأختَه وعمتَه وخالته فها قد حانَ الوقتُ لتبري بقسمِك .

.

.



عزيزي مولود برج العقرب:

أنتَ إنسَانٌ نبيهٌ جداً ولا شكّ أنّكَ بنباهتِكَ تعرفُ أنّ المقُولة التي كبِرتْ معكَ وكبرتَ معها " اللهُ ، الوطنُ ، الملكُ " لم تعدْ قائمةً بنفسِ الترتيبِ!
لا تبتئسْ كثيراً تحصَلُ اللخبطات أحياناً وليكنْ لكَ أخي العقرب ترتيبك الخَاص
ولا تنسَ أن الأوطانَ ترسُمُ حدودَهَا أحذيَةُ جنُودِ النّيتو وأنّ الملُوكَ تأتي وتذهبُ فلتكنْ تجارتكَ مع الملكِ الحقِيقيّ.

على صَعيدِ علاقتِكَ بالجنسِ الآخر ، تذكّرْ أخي العقرب أنّ المرأةَ مخلوقٌ مغايرٌ للرَّجُلِ ليسَ في بنائِهِ الجِسميّ فقط ، بل في تركيبِه النفسيّ أيضاً فمن الحِكمَةِ البحث عن طريقةِ مُعاملَةٍ تختلفُ عن تلكَ التي تتعامَلُ فيها مع رفاقِ الشّيشةِ.

امرأة العقربِ ، كانَ قراراً صائباً منكَ أن تكونِي آخر المُغادراتِ من ديوانِ الصَّباحيّةِ الذي جمعَكِ مع جاراتِكِ كي لا يقُمْنَ بنتفِ ريشك كما نتفتُنَّ ريشَ الغائبات.
حبذا لو حفظنا غيبة الآخرين !

.

.



عزيزي مولود برج القوس:

لستَ وحدَكَ الذي يجيد الرّماية.

تذكّر دوماً أنّ أكثرَ ما يحمِي مقتلكَ هو تورعكَ عن رمايةِ النَّاسِ في مقاتلِهِم

ولا تنسَ أخي القوس أنّ من غربَلَ النَّاسَ نخلُوه.

على الصَّعيدِ المهنِيّ لا بأس أن تعرف أن زميلك الذي يأتي مُبكراً للعمَل ليسَ بالضَّرُورةِ متزلفاً للمديرِ أو هارباً من زوجتِه ، مع أنّ تفكيرك منطقِيّ ولكن ليسَ بالضَّرورةِ أنْ يكُون صَائباً.

على الصَّعيدِ السِياسيّ كانتْ حماقةً منكَ أن تنتظرَ من النائِبِ الذي انتخبته أن يحلّ كلّ مشاكِلِ الوطَنِ ، أنتَ تعيشُ في الوطَنِ المُشكلة حيثُ الرأسُ أعوج فمن الطبيعيّ أن يتبعه الذّيل.

امرأة القوس ، الغيرةُ غريزةٌ أنثوية تجعَلُ الحياةَ الزَّوجيةَ أجمل ولكنَّها كالملحِ كثيرُه يفسِدُ الطَّعامَ.

.

.



عزيزي مولود برج الجدي:

الخِلافَاتُ الزَّوجيّة شَيءٌ طبيعيٌ في حياةِ أيّ زوجينِ تفرضُها تكاليفُ الحياة ومتطلباتِهَا والمعاشَرةُ اليوميّة ، فحبذا لو قفزتَ عنها ، ولا بأسَ لو كُنتَ مُبادِراً ، وتذكّرْ أنّ الوعَاء الكبيرَ هو الذي يتّسِعُ للوعَاءِ الصَّغيرِ وليسَ العكس.

على الصَّعيدِ الوَطنِيّ كان تساؤلكَ البَارحةَ مُحقاً لحظةَ تنكيسِ العلَمِ حداداً على موتِ الوزيرِ ، فلماذا لا تُنكَّسُ الأعلامُ حداداً على هذا الشَّعبِ المدفُون.

الإجابةُ بسيطة فهناكَ من يُحاوِلُ أن يقنعَكَ أنّكَ حيّ.

امرأةُ الجدي ، حين ابتلعَ ابنُكِ الأول قطعةَ نقُودٍ تملكَكِ رعبٌ شديدٌ فهذه غريزةُ أمُومةٍ تُحسبُ لكِ.

وحين ابتلعَ ابنُك الثَّانِي قطعةً نقديةً مشابهَةً تملككِ رعبٌ بصورةٍ أخف بحكم أنّها ليستْ التجربة الأولى ، وأنّ التجربة الأولى عدّتْ على خير

ولكنّه شعورٌ يُحسبُ لكِ.

أمّا الذي لا يُحسب لكِ هو أن تخصمِي القطعة النقدية التي ابتلعَها ابنك الثّالثِ من مصرُوف أخويه ففي النِّهايةِ ليسَا المسؤوليْنِ عن سلامَةِ أخيهما الصَّغير بقدرِ مسؤُوليتكِ!

.

.



عزيزي مولود برج الدلو:

ما تُحاولُ أنْ تُقنِعَ نفسَكَ أنّه إكراميّة ليسَ كذلكَ إنّه رشْوَة.

أنتَ تعرفُ هذا جيداً فتصرَّفْ على هذا الأساس ، ودعكَ من حماتِكَ التي تهددك بين الحين والآخر ، وتخبركَ بأنّ من حقّ ابنتِها أن تعيشَ مرفهَةً كبقيّةِ أخواتِهَا فيا أخي السّطل عفواً الدّلو ميّز بين احترامِ أهلِ زوجتِكَ وبين أن يتدخلُوا في كلِّ صَغيرةٍ وكبيرةٍ في حياتِكَ.

لا تنسَ اخي الدلو أن الزوج الجيّد هو مستمِعٌ جيّد.

أغلبُ الأحيانِ تعرفُ زوجتُك يقيناً أنّك لا تملكُ حلاً للمشَاكلِ التي تعترِضُ حياتكُما ، أصلاً هي أغلب الأحيان لا تريدُ حلاً ، كل ما تريدُه أن تستمعَ

لها ، لذلكَ حين تشرعُ ب " النقّ " استمعْ لها باهتمامٍ وأجركَ على الله شرط أنْ لا يخرج كلامَها عن حدُودِ الأدبِ وإلا " فضَربُ الرِّقابِ " وأجركَ على اللهِ أيضاً.

على الصَّعيدِ النّفسِيّ لا تقلقْ كثيراً أنت سليمٌ نفسِياً ولا تعانِي من أيّةِ خُطوبٍ ، أما الأحلامُ المُزعجة التي تراهَا دوماً في منامِكَ ما هيَ إلا الواقع من كثرةِ محبتِهِ لكَ تبعكَ إلى سريكَ وقاسمَكَ وسادتكَ

امرأةُ الدّلوِ ، الريموت كونترول هو حاجةٌ عند الرِّجالِ فحاولِي أن تتنازلِي عنه لصالِحِ زوجك ولا تنسِي أنّكِ تسيطرينَ على البيتِ كله فلا تكونِي أنانيّة.

ولا تنسِي أنّ المرآة في السّيارةِ وُضعتْ في الأسَاسِ ليستخدمها زوجُك السائِق وليستْ لتطمئني على مكياجك كلّ لحظَةٍ ، فمن أجلِ سلامتكِ أولاً سيدتِي الدّلوة وسلامة أولادك ثانياً ، وأمك ثالثاً ، وأخيراً زوجك اجلسِي بهدوءٍ تماماً كما تطلبينَ من أولادك دائماً

.

.



عزيزي مولود برج الحوت:

تذكّر دوماً أننا نعيشُ على اليابِسَة

وأنّ كلّ الأعمَالِ التي يمارسُها إخوتُكَ الحيتان في المَاءِ لا تناسِبُ سكّان اليابسَة بل إنـهم يرونـها مستقبحةً أغلبَ الأحيانِ.

السّمكُ الصَّغيرُ مخلوقٌ من مخلوقاتِ الله أخي الحوت وله الحقّ في العيشِ مثلكَ تمَاماً

ولا تنسَ أخي الحوت أنّ الحوتَ الأكبرَ قدوةٌ سيئةٌ وأنّ كلّ الأسماكِ تكرهُه وحتى إن دعتْ له الأسماكُ المتزلفة على المنَابر وأمّنت على دعائهِ الأسماكُ المسكينة الصغيرة.

امرأة الحوت : هل من الضّروري أن يكونَ يوم التنظيف العالميّ هو يومُ عطلةِ زوجك ، بالإمكانِ تأجيلُ مثل هذه الأمورِ.

إلا إذا كنتِ تتعمدينَ جعله يكره البيت فإن كان الأمر كذلك فأنتِ على الطريق الصحيح استمري يا رعاك الله!

.

.

أعزائي أنتم

الأبراج كهانة وقد كذب المنجمون ولو صدقوا

فكبّروا عقولكم

.

من حياتي

دروس مهمة لعموم الأمة

.

.

سَأسْألُ سُؤالاً بَرِيئاً مِثْلي!

هَل تَعتَقِدُونَ أنَّ في حَياتِكُم ما يَسْتَحِقُّ أنْ تَجمَعُوا النَّاسَ في صَعِيدِ نَصٍّ وَاحِدٍ لتُحَدِّثُونَهُم عَنه ؟

بالنِّسْبَةِ لي ، حَياتِي أتفَه مِمَّا تَتَخَيَّلُون ، وليسَ فِيهَا ما يَصْلُحُ للقَصِّ فَضْلاً على أنْ تكُونَ تلكَ القَصَصُ دُرُوساً

ولكِنِّي إذ أتكلمُ فَذلكَ لإشْبَاعِ غَريزَةِ العَرَبِيِّ فِي الثَّرْثَرَةِ!

العَرَبِيُّ _ بِرأيي _ زِيرُ كَلامٍ!

والعَربُ لَيْسُوا سِوى " ظَاهِرَةٍ صَوتِيَّةٍ " كمَا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ القصيميّ

عُكَاظُ ، وذُو المِجَازِ ، ومِجنّة ، ودَوْمَةُ الجَنْدَلِ هي أسْواقٌ كانَ أجدَادُنا يَبيعُونَ فيهَا الكَلام!

وكَانَ النَّابِغَةُ رئِيسُ غُرفَةِ التِّجَارةِ الذي يُفاضِلُ بينَ بِضَاعَةِ حنجَرةٍ وأُخرَى

المُثِيرُ للضَّحِكِ أنَّه حينَ أفنَى الرِّجَالُ عُمْراً في تَدْبِيجِ قَصَائِدِهِم قضَى النَّابِغَةُ بأنَّ أشْعرَ العَرَبِ امرأة!

ونَحنُ لا نَعرِفُ قس بن سَاعِدَة لأنَّه كانَ حَنيفاً على دِينِ إبْراهِيمَ عليه السَّلام

ولا لأنَّ سَيِّدَ ولَدِ آدمَ أُعجِبَ به ، بل لأنَّه كانَ خَطِيباً مُفوّهاً

ولا نَعرِفُ السّليكُ بن السَّلَكَةِ ، وعُروَةُ بن الوَرْدِ ، وتَأبَّطَ شرّاً والشَّنفَرَى لأنَّهُم كانُوا شُعراءَ صَعَاليك

بلْ لأنَّـهُم كَانُوا شُعَراءَ فَقَط!

فَصَحْرَاءُ مُترامِيةُ الرِّمَالِ أكبَر مِنْ أن يَختَصِرَ صَعَاليكَها أربَعَة

ولأنَّ أجدَادَنا عَرفُوا معنَى أنْ يمْلِكَ العَرَبِيُّ حنجَرةً رنَّانَةً وقَادِرَةٍ على الزَّعِيقِ

كانتِ القَبيلَةُ تُشعِلُ النَّارَ ثلاثَةَ أيَّامٍ في مَضَاربِها إذا بُشّرَت بشَاعِرٍ

وليسَ مِنَ الغَريبِ أنْ يرتَبِطَ المُتنَبّي بذاكِرتِنا على أنَّه الشَّاعِرُ الذي قتَلَه طولُ لسَانِه!

وفي حينِ ننسَى أنَّ الحَجَاجَ صَلَبَ عبدَ اللهِ بن الزُّبيرِ وذبَحَ سَعيداً بن جُبير

نحفَظُ عن ظَهْرِ قَلْبٍ خُطبَتَه الشَّهيرة حَولَ قَطَافِ الرُّؤوس

وفي حين أسَّسَ الأمريكِيُّونَ دولةً على جَماجِمِ الهُنُودِ الحُمْرِ وجَعَلُوهَا امبرَاطُوريةً على جَمَاجِمنَا

وأسَّسَ اليَّابَانِيونَ دولةً من عُصَارَةِ أدمِغَتِهِم

ما زِلنَا نتغَنَّى بدَولَةِ الخَطَابَةِ العَربِيَّة المُمتَدَةِ من حنجَرَةِ ابن سَاعِدة إلى حنجَرَةِ زيَادٍ بن أبيه

سُؤالٌ بريءٌ آخَر

هلْ تذكُرُونَ المرّةَ الأخِيرةَ التي شَعَرتُم فيهَا بالبَرَاءَةِ ؟

في الحَقِيقَةِ أنَا لا أذْكُرُ متَى كانَتْ آخِرَ مرّةٍ شَعَرْتُ فيهَا بأنّي بريء

ليْسَ لأنَّ ذَاكِرَتِي مَثقُوبَة ، على العَكْس

فأنا أذكُرُ جيداً متَى كانَتْ أولَّ مرّةٍ شَعرتُ فيهَا بأنّي خَبيث

كنتُ في الخَامِسَة من عُمرِي!

صَفعَتنِي عمَّتِي لأنَّ جَارتَنَا جَاءَتْ بِي إليهَا تَجُرُّنِي مِنْ أذُنِي بعدَ أنْ

ضَبطَتنِي أُغْرِقُ دجَاجَتَها في البِرْكَة

فذَهبْتُ إلى جَدِّي وبدَمعَةٍ بَريئَةٍ / خَبيثَةٍ شَرَحْتُ له بأنِّي مَظلُومٌ

فصَرَخَ بعَمَّتِي وأردَفَ _ رحِمَه اللهُ _ بأنَّ هَذا الوَلَدَ البَرِيء _ الذي هو

أنا _ مَمنُوعٌ إزعَاجه مهمَا كانَ مُزعِجاً

وحينَ رأيتُ دُمُوعَ عَمَّتِي شَعَرتُ بسَعَادَةٍ غَامِرةٍ!

وأزيدُكُم أنّي حتَّى اليومَ لَمْ أشْعُر بأيِّ وخزةٍ فِي ضَميرِي

فإنْ كانَتْ هذه السَّالفةُ تصْلحُ أن تكون قصّةً فالدَّرْسُ الوحيدُ الذي يُمكِنُ

استنتاجه هُو أنّ البعضَ يبدَأون خَبَاثَتَهُم قبلَ أنْ يُبدّلوا أسْنانَ الحَليبِ!

آخرُ الأسئلةِ البَريئَةِ لليوم

هل تنبّأ أحدٌ لكم بنبوءةٍ ثمَّ رأيتُمُوها عينَ اليقين ؟

قالَ جدّي لأمي عنّي : هذا الولدُ سَيفضَحنا

رحمه الله فقد كان ذا فراسةٍ ولكنّه ماتَ أقلّ شهرةً من الأخطبوط بول!

وعلى طَارِي الفَضَائِحِ

كانَ أبي _ حفِظَه اللهُ . إذا بُشِّرَ بأنثى اهتمَّ واغتَمَّ واعتزَلَ النَّاسَ ساعةً

ثمَّ إذا استفاقَ من هولِ الكربِ دخَلَ على أمي وقبّلَ رأسها وحمَدَ اللهَ على

سلامتِها

ثمّ حمَلَ المولودةَ وشَرحَ أنّه لا يقلقه في الدنيا إطعامها أو كسوتها ولكنه

يخشى عليها من نصيبٍ " عاطل "
ثم يُتَمتِمُ قولَتَه المشهورة : البنتُ تَهدُّ الظَّهرَ
أبي يُعاملُ أخواتي البنات كأحسن ما يُعاملُ أبٌ ابنتَه
بينما يُعاملنا نحنُ الشباب وكأنّه وجدنا على عتبةِ المسجدِ ذات صلاة
فجر!

وحينَ يتدخلُ لفضِّ نزاعٍ نشَب بينِي وبينَ إخوتي يُحمِّلني ما آلتْ إليه
الأمُور
ويرددُ قولتَه المَشْهورةَ الأخرَى : التِلمُ الأعوَجُ من الثَّورِ الكبير!
لكثرةِ ما سمعتُهَا منه يُخيّلُ إليّ أحياناً أني أجُرُّ على ظهري محراثاً
أبي يُكرمُ أخواتي البنات ويُدللهُنَّ لأنّ البيت برأيه ضيفٌ ، والضيفُ مهما
مكثَ فهو مُغادر
والعربيُّ عبدٌ لضيفه ، لذلك لا يحفظ من أشعار حاتم الطائيّ إلا قوله:

وإني لعبدُ الضّيفِ مادامَ ثاوياً

وما فيّ إلا تلكَ من شِيمَةِ العَبْدِ

فيُحضِرُ لأخواتي كلّ ما يطلبن لأنّ البنت ستذهبُ لرجلٍ آخر الله يعلمُ إن
كان سيعطيها أو سيحرمها والبنتُ التي تشبع في بيت أبيها لن تجوع
أبداً
أما نحنُ الذين يُربينا قربى لله تعالى ممنوع أن نُعنّفَ له بنتاً

أو أن نطلبَ من إحداهن شربة ماءٍ بحضرته فهنّ لسنَ جواري اللي خلّقنا
!

يُستنتجُ من كلِّ ما سبق ما يلي:

1 . أنا الثورُ الكَبيرُ في البيتَ

2 . هذه الأريَحِيَّةُ في السَّردِ تعُودُ لأنَّ أبي لا يقرَأ شيئاً مما أكتبه ، أصلاً هو لا يعرفُ أني أكتب

3 . بيتنا هو مُجتمعٌ أُنثويّ بامتياز

4 . أبي كريم الأخلاق ، وهذه قناعة وليست خط رجعة!

أمي ـ حفظها الله ـ لا تُطيقُ أن ترى ولداً من أولادها أعزَباً بينما البنت اللي عند أهلها على مهلها!

رغمَ أن الرجلُ هو الذي على مهله ، فالرجل الأعزبُ في الأربعين يتزوّجُ بين ليلة وضحاها

بينما البنتُ في الأربعين هي عانس مع مرتبة الشّرف ومنذ خمس سنوات
!

ولكنّ أمي لا تُغيّر قناعاتها ، وتعتبر أن هذه الأمثلة " كلام فاضي"

إذا تقدّمَ شابٌ لإحدى أخواتي وقالتْ أنّها لا تريده فهذه حياتها ولا يجب أن نجبرها على شيء

الرجلُ الذي طرقَ بابنا وكلّفَ خَاطِرَه وأحضَر ٢ كيلو بقلاوَة وأبَاهُ وأمَّه هُو مُجرَّد شَيء!

أما إذا اقترحت أمي على أحدنا بنتاً وقال : لا أريد . فهو هنا لا يختار

حياته إنَّه فقط لا يعجبه العجب ولا الصيام في رجب!

إنّه إنسان يرفُضُ أن يكملَ نصفَ دينه

الغريبُ أني حين تزوجتُ لم أشعر بأنَّ ديني تضاعف

ولم أسمع عن رجُلٍ تزوّج اثنتين فصارَ بدينٍ ونصف!

يُستنتجُ مما سبق:

. 1 أنا لم أتزوج لأخلصَ من نقّ أمي (أيقونة أرنب(

. 2 تضَاعُفُ الدّينِ بعدَ الزّواجِ ليسَ حتميّة بل من المحتمل أن تخسر النصف الذي لديك وتصبح على الأرض يا حكم!

. 3 للبنت الحق في اختيار شريك حياتها بينما لا يتمتع الشاب بهذا الحقّ

. 4 حافظ على ماء وجهك ولا تُعنّف أولادك بحضرة جدهم أو جدتهم

. 5 هذا الكلام ليس للنشر وتذكروا أنّ المجالس بالأمانات وأنّ ربكم قد أمر بالستر.

والسّلام.

.

.

فنجان قهوة

في الحديقةِ العامَّةِ التي تختنقُ بالراسخِينَ في اليأسِ ، العاطِلينِ عن الحبِّ والغضبِ ، وسَائرِ الأشياءِ التي تجعلُ منهُم بشراً ، كانَ يمارسُ طقوسَ المرارةِ الصَّباحيَّةِ داخلَ فنجانِ قهوة !

كانَ على بُعدِ خُطوةٍ من إدراكِ العلاقةِ بين مرارةِ القَهوةِ والحياةِ حينَ راودته تلكَ التي تقرأُ خبايا الفناجينِ عن آخرِ ما تبقَّى في جيبِه!

ولأنَّه كان جاهلاً بتراتيلِ البُنِّ تراكمت الأسئلةُ في ذهنِه دفعةً واحدةً

هل بإمكانِ الشِّفاهِ أَنْ تُلملِمَ كل ما تبقَّى من إنسانٍ وتكتُبَه على حافَّةِ فنجانٍ لتقرأَهُ امرأةٌ أغلبُ الظَّن أنَّها لا تجيدُ قراءَةَ الحُروف ؟!

هل بإمكانِ الأحلامِ التي شَاختْ من كثرةِ الإنتظارِ أَنْ تتآمرَ على سجَّانِها وتتسلل عبر نافذةِ القَهوة ؟!

إلى أيِّ حدٍّ تستطيعُ الآهاتُ التي نضِجَتْ وأينعَتْ لكثرةِ ما تسكَّعَتْ تحتَ الشَّمسِ أَنْ تطالبَ بتحديدِ موعِد قِطَافٍ واضِح معتمدةً على فنجانِ قَهوةٍ أيضاً ؟ !

أيستطيعُ الغضبُ أن يتمَاهى مع البُنِّ ويشيَ بصَاحبِهِ فيما ظَنَّ أنَّه لمْ يكُنْ سِوى ارتشاف ؟!

أتستطيعُ الروحُ التي تجرُّ انكساراتِها كالإثمِ خلفَهَا أَنْ تسْعَى مع فنجانِ

قهوةٍ لقلبِ نظامِ الأَشياءِ حولَها ؟ !

في غمرةِ هذيانِ الأسئلةِ التي كانتْ تقرَعُ بابَ الإجابةِ بأناملِ القهوةِ كانَ لا بُدَّ أن يقامرَ بما تبقَّى لديه من قدرةٍ على الإحتفاظِ بالأشياءِ التي تأكله من الداخِل ، وفي لحظةِ رغبةٍ عارمةٍ في استراقِ السَّمعِ لخبايَا الروحِ على لسانِ البُنِّ أِسلمها الفنجان

نظرتْ في الفنجانِ ثمَّ في عينيهِ وكأنَّها تقولُ خُذْ فنجانكَ عنِّي ، ولكنَّ تاريخَ الغجرِ لم يُسجَّل من قبل أنَّ غجريةً انسحبتْ مِنُ سمفونية البن قبل إتمام مراسيم الفضيحة.
فقالتْ له : سأقرأُ عليكَ مزاميرَ الطِّفلِ الذي نسيتَ أَنْ تصطَحبَه معكَ حينَ كبرتَ ! والوطنُ الذي لم تلتقِ به بعد ! سَأدُلكَ من أينَ تنبعثُ رائِحةُ الحبرِ والدَّمعِ فيك ، وسأخبرك عن امرأةٍ أردت ان تقتلها ، فوجدتها صبيحة اليومِ التالي معلقةً على سياج نبضك ! وسَتعرفُ على يديَّ كم مرَّةً وُلدتَ وكم مرَّةً مُتَّ ، وكيف تناسَختِ الرُّوحُ فيك!
ولكنَّك ستقسِمُ لي بعدها بحقِّ القَهوةِ التي جمعتنا أنَّك لنْ تسمحَ لغجريةٍ بعدي أنْ تُراودك عن فنجانك !

كَتبتْ شفتاكَ أنَّكَ كبرتَ غير أنَّ طفلاً التقيتَ به منذ ستةٍ وعشرينَ عاماً نسيَ أَنْ يكبرَ معكَ ... ما زالَ في الرابعةِ بعد ! أضِفْ عمرَهُ إلى عمركَ يكنْ الحاصِلُ أنتَ!

أراه يهربُ من عِقابِ أُمِّه – التي نهته أنْ يقربَ إبريقَ الشّاي السَّاخنِ ولكنّه طالبَ بحقِّهِ في الإلتساع – إلى القَمحِ في حضنِ جدِّه ثم يغلق باب السَّنابل دونَه ويغفو.

وحينَ استنفذَ كلَّ قمحٍ قادرٍ على إيوائِه وجدَ جدَّه صبيحةَ اليوم التَّالي نائِماً دونَ سُعالٍ على غير عادةٍ فقبَّله على عَجَلٍ بسذاجَةِ الأَطفالِ الذين لا يعرفونَ معنى القُلبةِ الأخيرة!

ولأنَّ جدَّه أحبَّه كثيراً فتحتْ له جدتُه القلبَ على مِصراعَيهِ ، وشرعتْ أمامَه نوافذ الحنين ، وقصَّت عليه حكايا التنور رغيفاً رغيفاً ، وقاسمته خبز المنفى وقالت له : اعرف من شئتَ ولكنْ لا تحبنَّ امرأةً سِواي.

غيرَ أَنَّ قلبَ الرَّجلِ فيكَ انقلبَ على قلبِ الطفلِ فيه وقررَ أن يخون!

وكَبرتَ وأحببتَ امرأةً عثرتَ عليها ذاتَ صباحٍ تبكي ... فتآمر الدَّمعُ والكُحلُ في عينيها عليكَ ! ولما صار حبها أكبر منكَ قررتَ أنْ تقتلها... كم كنتَ أحمقاً إذ اعتقدتَ أنَّكَ بالكلماتِ يمكنك أنْ تقتلَ امرأةً ، فقد أخبرتكَ ذاتَ دمعٍ أيضاً أنَّها لا تريدُ الرَّحيلَ غيرَ أَنَّ العيونَ السُّود يملكُها من يدفعُ أكثر ! وأَنتَ لا تملكُ سِوى مهرِ قراءَةِ فنجَان!

كتبتْ شفتاكَ أنَّكَ طَاعِنٌ في الحياةِ والموتِ ، مُتَّ قبلَ أَنْ تُولدَ فالذين يُولدون بلا وطن يولدون في كفن!

ثم وُلدتَ يومَ اجترحتْ فيكَ أُمكَ معجزةَ الحياةِ ، ومتَّ يوم أهالوا التراب على جدك!

وَوُلدتَ بشراً سَوياً من رحم ذكرياتِ جدتكَ ، ولكنَّهَا حينَ اشتمتْ فيكَ رائحةَ رجلٍ قادرٍ على الخيانةِ قتلتكَ وماتتْ...

وُلدتَ يوم نفخَ الكُحلُ والدمعُ فيكَ الرُّوحُ ، ثمَّ مُتَّ بالدمعِ والكحلِ حيثُ ولدتَ

خذْ فنجانكَ عني فبعدكَ حَرامٌ عليَّ قراءَةُ الفنَاجِين

عن وطن من لحم ودم

.

.

هناكَ موتَى لا يُمكنُ حتَّى للمَوتِ قتلَهُم فِينا!

.

.

.

كالقطاراتِ تركُضُ حافياً ، غيرَ أنَّ القِطاراتِ تركُضُ على رَغبةٍ جادَّةٍ في الوصُولِ وأنتَ تركُضُ شَهْوةً في مُمارسَةِ الهَرب!

القِطاراتُ لا تخلِفُ مَواعِيدَها أبداً ، فلم تتحدثْ دائِرةُ سِكَّةِ الحَديدِ أنَّ محطَّةً أُصِيبت بخَيبةِ أملٍ جَرَّاءَ انتظَارِهَا لقطَارٍ ، وحدَكَ تَصِلُ متأخِراً لتجِدَ لافتةً مكتُوبٌ فيها : قدْ كانَ هنا يوماً محَطةٌ انتظرتكَ تحتَ المَطرِ بلا مِظلَّةٍ فلَمَّا يئِستْ منْ مجيئِكَ قرَّرتْ أنْ تُصبحَ قِطاراً لتُعلِّمكَ أنَّ الجَادِّينَ في الوُصُولِ يَصِلُون!

وتجلِسُ الآنَ في أطْلالِ المَحطَّةِ بقدَمينِ مُهترِئتينِ من كثرةِ التَّسَكُّعِ لترتَشِفَ فِنجانَ الإنتِظارِ عنْ آخرِ قَطْرةٍ ، جرِّبْ الآن أنْ تُصبحَ مَحَطةً وعِشْ بأمْنيةِ أن يمْخُر وِحدَتكَ قِطارٌ ، وريثَمَا يُصبِحُ لديكَ أدبُ القِطارَاتِ ، إرتَحِلْ ...

تُؤمِنُ القِطَاراتُ أنَّ المَحطاتَ أهمّ مِن الطُرقاتِ لهذا لا تُغرِيها المَفَارق ،

وتؤمِنُ أنتَ أن الدَّربَ لا يخْلُو بغيرِ رِفاقِ سُوءٍ لهذا يحفَظكَ كلُّ قُطاعِ الطُرقِ ، يعرِفُوكَ من الهَمِّ يعلُوكَ ، من الغُبارِ يكسُوك ، من حذائِكَ تحمِلهُ ويحمِلكَ ، وتجُرُّه كالإثمِ معكَ ، توَسَّمَ صَانعُوه أن يعثُرَ على رفيقٍ خيرٍ منكَ ولكنَّكَ كُنتَ أنتَ !

لِتَكْتُبِ الآنَ كمَا لمْ تفعَلْ مِنْ قبلُ فلمْ يعُدْ يصِحُّ أنْ تختبِىءَ خلفَ إصبَعِكَ ، قُلْ إنَّ الكلمَاتِ التي توهَّمْتَ أنَّ بمقدُورِهَا أنْ تُشعِلَ كوكَباً يغُوصُ بالمَاءِ حتى ثمانينَ بالمِئَةِ من جِسمِهِ ليسَ بإمكَانِها أنْ تُشعِلَ ناراً بحجْمِ راحتَيْ طِفْلٍ.

إعترفْ بأنَّ رئَتيكَ اللتينِ حسِبْتَ أنَّ باسْتطَاعتِهِمَا اعتقالُ كلَّ الهَوَاءِ الذي يعبَثُ بالشَّجرِ ، ويركُلُ الموجَ ، ويربِتُ على أكتافِ الجِبالِ ، ليسَ بمقدُورهِمَا سِوى تسَوُّلِ كمِّيةٍ قليلةٍ من الأوكسِجينِ تلزمُكَ لتبقَى على قيدِ الحَياة.

لا تدفِنْ رأسَكَ في الرَّملِ ، الرَّأسُ ليسَ بعورَةٍ كيْ يستحوذَ منكَ على هذِهِ المُوازَنةِ الضَّخمَةِ من السِّترِ ، هُناكَ ما هو أجدى أنْ تلتفتَ لسِتْرِهِ يا خائِب!

قُلْ لها أنّكَ كَبرتَ وأنّكَ ما نسيتَ أن تصْحَبهَا معكَ إلى كلَّ سَنةٍ من سِنِي

عُمرِكَ ، وأنَّ كلَّ مُحاولةٍ للتَّخلُّصِ منـهَا باءتْ بالفَشلِ ، كانتْ كالوشْمِ على كتفِكَ متى طُبِعَ احتلَّ مسَاحةً من جلدِكَ لم يعُدْ بالإمكَانِ تحرِيرُه ، حتّى حينَ توضِّئه بمَاءِ النّارِ تشُمُّ رائِحَةَ شِوائِكَ فيما تخرُجُ هي سليمِةً مُعافاة !

تحتُلكَ كما يحتلُّ طابعٌ ظهرَ رسالةٍ فلا يفتحُ لكَ صُندوقُ بريدٍ بابَه إلا حينَ يطمَئِنُّ أنّها معكَ

ولتذهبنَّ الآنَ إلى مَطلعِ الحِكايةِ ، أقصُصْهَا بكلِّ ما أوتيتَ من سَردٍ قادرٍ على أنْ يرتَأ ثقبَ عباءَةِ عُمرِكَ ، حاكتْ لكَ اسمَكَ بمغزلٍ ولما أتيتَ ألبسَتكَ إيَّاه دونَ أن تُراعِي أن القبَّعةَ التي تحوّلُ الألفَ إلى همزةٍ ستكونُ سَبباً في حنقِ أمكَّ عليكَ ، دوماً تكتبُ اسمَكَ عارياً من قبَّعتِهِ ، فتنهركَ أمكَ دُونَ أن تنتبَه أنَّ أصابِعكَ الصَّغيرة لا تجِيدُ التَّلوي في مفترقِ الحرفِ .

لا أحدَ يعرِفُ ما سببُ هذا الإسْمِ المُعدّ سلفاً لمجيئِكَ ، ولكنَّهم وصَمُوك به لأنَّ امرأةً قرَّرتْ أن تقاسِمْكَ خُبزَ منفَاها دوناً عن بقيَّةِ أحفَادِهَا وكأنَّها كانتْ تعرِف بأنكَ مهيَّأ للإغترَابِ.

وُلدتَ على ضِفَّةِ الواحِدةِ ليلاً ثملاً بما شربْتَه من ماءِ الرَّأسِ ، وظنُّوا أنَّك لن تعبُرَ نـهرَ الوَقتِ لضِفةِ السَّاعةِ الثَّانيةِ ، وتهامَسُوا بأنَّكَ ستكُونُ ضَيفاً خفيفاً على الحَياةِ وأنَّه لن يبقَى لأمِّكَ منكَ غيرَ ذكرى وجَعٍ ، ولكنَّهم حينَ

أودعُوك حضْنَها أعدتَ إليها كلَّ ما لم يكنْ لكَ الحقُّ في أن تشربَه
وعشتَ لأنَّ الذي له عمرٌ لا تقتُله شِدَّةٌ.

لم تخشَ البحرَ كبقيةِ أترابِكَ ، رُبَمَا لأنَّكَ خبرتَ الغرَقَ في سِنٍّ مُبكِّرةٍ ،
فحينَ كانُوا يمدُّون أقدامَهُم للبحرِ ويُرجِعُونَها برهبَةِ التَّجربةِ الأولى كُنتَ
تمخُرُه دونَما حذرٍ وكأنَّكَ تستَرجِعُ ذكرى البللِ الأوَّلِ .
لمْ يُرهبكَ الموتُ كما يرهبُ الصِّغارَ ، الذينَ أمسَكهُم الموتُ وأفلتَهُم
يعرفونَ أنّ لكلِّ أجلٍ كتابٍ لن يُطوى إلا على موعِدٍ مَضبُوطٍ.

قالَ أترابُكَ بأنَّكَ جبَانٌ لأنَّكَ توسَّلتَهُم أن لا يشنِقُوا القطَّ الأسودَ على
غُصنِ الزَّيتُونةِ ،
وأنَّك تخافُ أمَّكَ فتهرعُ إلى البيتِ متى سَمعتَ أذانَ المَغربِ ،
وأنَّك مُدلَّلٌ تأخُذُ مصرُوفَكَ في اليومِ أكثرَ من مرَّةٍ دونَ أن يعرِفُوا أنَّ جدَّتَكَ
تُقاسِمُكَ نقُودَهَا خِفيَةً وكأنَّكُما شَرِيكا سَرِقَةٍ.

لم تكنْ كائناً نـهَاريّاً فليلُكَ زاخِرٌ بمَا لا يُمكنُ للنَّهاراتِ أن تحوِيه ، في
اللَّيلِ تلتئِمُ المضَافةُ وتدُورُ فناجينُ القَهوةِ على السَّامرينَ ، وعلى رائحةِ
البُنَّ تشرئِبُّ ذكرياتُهُم على شيءٍ كانَ ، وتنتفِضُ خيالاتُهُم على شيءٍ ما
كانَ ، هم الذين قالُوا لكَ : " اثنانِ لا يمكنُ تكذيبُهُم ، شابٌ تغرَّبَ وخِتيارٌ

ماتَ جيلُه " وهُم جمعُوا الإثنينِ معاً ، فكلٌّ واحدٍ يحمِلُ تاريخَ قريةٍ بأكملِهِ يكتبُه على مزاجِه ، لأوَّلِ مرَّةٍ يصُوغُ المهزُومُ التَّاريخَ على مقاسِ خَيبتِهِ ، تاريخٌ يحكي الإنسَانَ بكل ما فيه من بسَاطةٍ تهبِطُ إلى الحُمقِ مرَّةً ، وترتفِعُ إلى نخوَةٍ طواهَا الزَّمنُ كصفحَةٍ قديمَةٍ في كتابٍ مرصُودٍ مرَّاتٍ ، وبينَ هذِه وتلكِ هؤلاءِ قومُكَ ، وأنتَ سطرٌ في كتابِ خيبتِهِم أعجبَكَ أم لمْ يعجِبْكَ عليكَ أن تقرأه من أوَّلِ النَّكبةِ حتى مطلَعِ الغِيابِ.

ولمَّا مَرِضَ جدُّك حزمَ الرُّواةُ حكَاياهُم ومضُوا تشُدُّهم رائِحةُ البُنِّ في مضافةٍ أخرَى ، وتركُوه ليكتُبَ الفصْلَ الأخِيرَ في روايَتِه ، ولمَّا ما عادَ في دَواةِ عمْرِهِ حِبرٌ لفُّوه بالأبيضَ وأسرَجُوا له أكتافَهُم وحمَلُوه حيثُ الذَّاهبُ لا يعودُ !

ولكنَّ التي وصَمتكَ بالحُرُوفِ الأربَعةِ عزَّ عليهَا أن تُبقيكَ بلا حِكايةٍ ففتَحَتْ لكَ بابَ ذِكريَاتِها على مِصْراعَيهِ وقالتْ لكَ : قدْ كانَ لنا يوماً بيتٌ كبِيرٌ ، وسَنابِلُ مَلأى ، وتِينةٌ عَاقِرٌ ، ودَالِيةٌ ، وحَبقٌ يُراوِدُ الريحَ عن نفسِه ، وبئرٌ لم يُكمِلْ جدَّكَ حفرَه ، وكَعكٌ لعيدٍ لم يأتِ ، ورغِيفٌ نصْفُه لنا ونصِفٌ خبَّأنَاه لجيشٍ جاءَ لينتَشِلَ ما تبقَّى من جُبِّ الوعْدِ المشْؤُومِ فإذا بهِ يردِمُ البئرَ عن آخرِهِ ويصِيحُ بنَا : انصَرِفُوا!

والوَطنُ يا جدَّتِي ، تسْألُها

فتقُولُ لكَ : أنا وطنٌ

وكانتْ لكَ وطَناً تأوي إليهِ كلَّ لَيلةٍ تُقاسِمُهُ نهارَكَ ويُقَاسِمُكَ أمْسَه

ولمَّا كَبِرتَ عَرفتَ أنَّ الوَطنَ أكبرُ من حِضْنٍ وحِكَايةٍ ، وأنَّ الذِينَ يُولدُونَ بِلا وطنٍ يبقُونَ جَوعَى مهْمَا أكلُوا مِنْ خُبزِ المَنَافِي !

فِي الجَامعةِ يسْألونَكَ عن الوطَنِ وكأنَّ الكُتبَ تتوَجَّسُ منَ الغُربَاءِ

وفي المطَارَاتِ يسْألُونَكَ عن الوطَنِ وكأنَّه سيصَعدُ معكَ إلى الطَّائِرةِ

فترويَ لهُم بحَرقَةٍ حكَايةَ وطَنٍ لا يُمكِنُه إصْدارُ جوازَ سَفَرٍ !

منهُم من يُعزِّيكَ ومِنهُم من يرتابُ منكَ فلا في العزَاءِ تجِدُ نفسَكَ ولا الرِّيبةُ تزيدُك غُربةً

ولقدْ كبِرتَ الآنَ لفرَطِ ما قالتْ لكَ : غداً حينَما تكبَر...

كبِرتَ لتعرِفَ أنَّ دُنيا الصِّغارِ كانتْ أجمَلَ ، وأنَّه لمْ يكُنْ شَيئاً يستحِقُّ الإستعجَالَ أن تكبَر

كبرتَ لتنَادِي عليهَا كلما تتعَب : ياوطناً من لحْمٍ ودَمٍ ، أحبُّكِ

.

.

ريح العهر

.

.

أكبَرُ دليلٍ على أنّ الدُّنيا بنْتُ كلبٍ

هُو أنْ يُشمّرَ مِثلِي عنْ مُفردَاتِه ليَرثِيَ مِثلَك

كَيفَ تكتُبُ حُفرةٌ رِثاءً لقِمَّةٍ دُونَ أنْ يأتيَ الكَلامُ هَابِطاً

كَيفَ أصْنعُ كلاماً يصْلحُ ليَكُون بَريداً للآخِرةِ

وأنَا المُتثَاقِلِ للأرَضِ مِنْ غَيرِ عَرَجٍ

اللهُمَّ إلا الذي فِي قَلْبِي!

الكِتَابَةُ عنكَ الآنَ عُهرٌ أدبَيّ

ولأنَّ النَّاسَ على دِينِ مُلوكِهِم سَأعتَنِقُ العُهرَ وأكتُبُ!

سَأصنَعُ مِنبراً مِنْ وَرَقٍ وأخْطُبُ في النَّاسِ

أيُّها النَّاس : لقد مَاتَ أسَامَة

رَبِحَ البَيعُ أبَا مِتعِب

رَبِحَ نِفْطاً وخُبزاً مَغمُوساً بالذلّ

فَمنْ سَيجرُؤ الآنَ على أنْ يَرمِيَ أمْريكَا بوردَةٍ ؟!

واهْنَأ هُنا فقدْ مَاتَ مَنزُوعَ الجِنْسِيّة

وليَهْنَأ هُناكَ فقد شَقّ عصَا الطَّاعَة!

رَبِحَ العُهْرُ يا إخوانِي المُسْلِمِينَ

رَبِحَ حِزْباً سِيَاسِياً سُيصدَّرُ الغَازَ حَسبَ التَّسْعِيرةِ العَالمِيَّةِ بلا غُبْنٍ!

وهنيئاً لكُم هُدوء العَالَمِ فقدْ زالَ منه سَبَبُ التَّوتُر

لا حَرَمَكُم اللهُ أجْرَ الصَّابرين

وإسْرائِيلُ لنْ تَتَوتَّرَ بعْدَ اليَومِ وتَقصِفَ غَزَّةَ بالفُسفُورِ الأبيض

رَبِحَ العُهْرُ يا عبدَ الله غُول ، يا حَفيدَ مَحمَّد الفَاتح وعبدَ الحَميد

رَبِحَ وعدَ ابليسَ بِجَنَّةِ الإتّحَادِ الأوُروبِيّ

فنَحنُ قومٌ أعَزَّنَا اللهُ باليُورُو!

ما أقبحَ الوُجوهَ بلا مُستَحْضَراتِ تَجْميلٍ يا أسَامَة

هكَذا عَارِيَة بِزِيّ ربِّها

وإنْ كانَ في المَوْتِ حظٌ غيرَ الجَنَّة فإنَّكَ لن تَرَاهَا سَافِرَةً

أم أنَّكَ كُنْتَ تُبصرُ من وراءِ مِيك آب!

دَعْنِي أقرَأُ عليكَ التَّشْكِيلَةَ التي سَتَلعَبُ مُباراةَ الإيَابِ بِدُونِك

وسَتُعوّض كلّ الخَوازيقِ التي أكلنَاهَا في عُقْرِ مَلعَبِنا ذاتَ ذَهَابٍ

مُلوكٌ ورُؤسَاءٌ وأحزَابٌ

والعَربيّةُ كُلَّ يَومٍ تَقتَرِبُ مِنَ العُهْرِ أكْثَر

والجَزيرَةُ لنْ تستَجدِيَ عَطْوانَ لِيتَغزَّلَ بِك

وتَسْألُ في صَفَاقَةٍ كيفَ تتغَزَّلُون بأسامة من لَندَن

وتنْسَى أنْ تسْأَلَ ولو بخَجَلٍ عن سِيَاحَةِ بيريز في الدَّوحَة!

هَذهِ تَشكليتُنا الغَبِيَّة التي لا تُريدُ أن تفْهَم أنَّهُم يَكرَهُون فريقَ المُسلمِين بعُنْفٍ

يَكْرَهُونَ اللاعِبينَ والجُمهُور

يَكَرهُونَ حتى المُسَالمِين خَلفَ أذنَابِ البَقَر

يَكْرهُونَ عبْدَ الرَّحمنِ الرَّاشِد رغمَ أنَّه مُديرُ العَربيَّة!

ويكرَهُونَ شَعبُولا رغمَ أنَّه يُحِبُّ عَمرُو مُوسَى

يكرَهُون أبُو تريكا لأنّه كَتَبَ مرّةً على قَميصِه اسمَ غزَّة

ويكرَهُون ماهر المعيقلي لأنَّ صوتَه يشُدُّ القلبَ من أذُنيهِ أَنِ اخشَعْ

يكرَهُون كانوتيه لأنَّه اشترَى مَسْجِداً ثمّ باعه لله !

ولأنَّه تَحدّثَ مرَّةً عن عبْدِ الرَّحمنِ الدَّاخِلِ

ويكرَهُونني رغمَ أنِّي أحلقُ لحيَتَي بانتظَامٍ وأضَعُ عِطْراً فرنْسِياً وأكذب!

ويكرَهُونَ ابنِي الصَّغير رغمَ أنَّه مِنْ مُستَهْلكِي نيدو

دَوْماً نتَشَبَّثُ بالأسْئِلَةِ الخَطأ

كيفَ مَاتَ أُسَامَة ؟

والصَّوابُ أنْ نسألَ : كيفَ عَاش!

أبُو بكْرٍ ماتَ على فِراشِهِ

وعُمَر مَاتَ مَطْعُوناً في صَلاةِ الفَجْرِ

وعُثمَانُ ماتَ مذبُوحاً على المِصْحَف

وعليّ طَعَنَه ابنُ مُلجَم

وابنُ تَيمِيةَ ماتَ في قلْعَةِ دِمشق

وسيّد شَنقَه جمالُ عبدُ النَّاصِر

ومَروانُ قتَله حَافِظُ الأسد

وخطّاب قتَله الرُّوسُ

وعطَا رفضَ بابَ المَوتِ بطَائِرَةٍ بُوينغ

وأحمدُ ياسين رفضَ أنَ يكونَ مَعَ الخَوالِفِ فمَاتَ بطَائِرةِ آباتشي

كلُّ واحدٍ مِنهُم ماتَ بطَرِيقَةٍ ولكنَّهُم جميعاً عَاشُوا للهِ!

ونَعُودُ للسُّؤالِ الخطأ مرّةً أخرَى

أينَ دُفنَ بن لادِن ؟

مَاذا سينفعُ ابنُ سَلُولٍ دفنُه في البَقِيع ؟!

ومَاذا سيضُرُّ أسَامة لو دُفنَ في البَّحر

سَيُصبِحُ البَحْرُ حُلواً فقَط!

وقَلبِي يَغَارُ منكَ يا بحْرَ العَرَبِ!

وأكثرُ الأسْئِلةِ صَوابيَةً الآنَ ، ماذا بعد ؟

هل ستُعلِّمُونَ أولادكُم الرِّمايَةَ أمْ سَتُعطُونَهُم مَيُّوهَاتٍ ليَسْبَحُوا!

هكَذَا نحنُ دَوماً نلوي أعنَاقَ الأشيَاء

مَاذا لو طَالبُونَا بعدَ تعْدِيلِ المَنَاهِجِ بتعدِيلِ صَحيحِ البُخَارِيّ

أليسَ أوَّلُ الرّقصِ حنجَلةً ؟!

تخيَّلُوا صَحيحَ البُخَارِيّ برُوحِ الألفيّةِ الثَّالثَةِ

تقدِيمِ الوَّليدِ بن طَلال وتنقِيحِ رُوبِي!

يا غُلام سَمِّ اللهَ والهَمبرغَرُ مُدَوّرٌ فاقضِمْه من حيثُ شِئْتَ!

إذا سَألتَ فاسألْ حِلفَ النّيتُو

وإذا استعنْتَ فاستَعِنْ بجَامعَةِ الدُّولِ العَربِيَّة

واعلَمْ لو أنَّ النَّاسَ اجتمَعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشَيءٍ

لنْ يَضُرُّوكَ إذا كَانَتْ هِيلارِي مَعَكَ

ولَو اجتَمعُوا لينفَعُوكَ فإنّ أمرِيكَا سَتستَخدِمُ حقَّ النقضِ الفِيتُو

رُفعَت جَلسَةُ مجْلِسِ الأمْنِ

ودُقْ رأسَكَ بالحيط!

وهَذَا صَبَاحٌ كئيبٌ آخرَ بدونك

صَبَاحُ الرَّجُلِ الأمَّة

صَبَاحُ الأمَّة التي لا تجرُؤ أن تبكِي رجُلاً

يا أمَّةً لا تملكُ أمرَ دُمُوعِها ، خَسئتِ

صَبَاحُ غزَّةَ يفتَحُها عبّاسُ صُلحاً وفي قلبِه ألفُ رقعَةٍ ومليُون خِيانَة

صَبَاحُ بغدَادَ مَا زالتْ تنتَظِرُ عامَ الغَزو

ولكنَّ أحفَادَ الرَّشيدِ تفرّغوا للحج

صَبَاحُ قندَهار لا تُعطِي الدَّنيَّةَ في دينِهَا

صَبَاحُ هلمند تصرُخُ فينَا : إنّ النِّفطَ لا يصنَعُ أمّةً

صَبَاحُ جنرَالاتِ طَالبَان الشُّعثَ الغُبر المَدفُوعينَ إلا مِنْ بَابِ الرَّحمَن

صَبَاحُ درعَا المُندَسَّة والجُولانُ الآمِنُ فلم يَحِن وقتُ الرَّدِ بعد!

صَبَاحُكُم جَميعاً يجَمعُكُم المِصحَفُ وكُتُبُ الصِّحَاحِ والتَّاريخُ

وتفرقُكُم الجُغرافيا وقُلوبُ حُكَّامِكُم

صَبَاحُ رُومَا حَدِّثُوا أولادَكُم الذين ستنجِبُونَهُم أنَّها ستُفتَحُ بالتَّكبير على حناجِرِ قومٍ لا يُشبهُونَنَا

وقَبلَ أنْ تُحَدِّثُوهُم عَزُّوهُم لأنَّهُم لم يعيشُوا في زمانِ أسامة

.

.

هذا الصبي لا يشبه البشر

أسرَجُوا لكَ السريرَ بالأبيضِ وسَجُّوك ... شريانٌ في يدكَ اليسرى مثقوبٌ بإبرةِ مصل ... وطعم الجرعةِ الأخيرة من دوائِكَ المرّ ما زال في حلقِكَ ... منزوعٌ من الأحاسيسِ كنتَ ... ليس ثمة ما تشعرُ به وكأنَّ الشراشِفَ البيضاءَ شربتكَ حتى القطرةِ الأخيرة!

زوجتُكَ تتحسسُ جبينكَ بأطرافِ أصابعها ثم تنزعكَ من بياضِ الشراشفِ وتأخذك إليها ... تداعبُ لكَ شعركَ ثم تسكبُ على خدك دمعةً فتسألها لماذا تبكين ؟ فتجيبكَ لأني أُحبك ! لم تنبسْ أنتَ ببنتِ شَفة فكلُّ ما فيكَ كان معطلا ! وحدها ذاكرتُكَ كانت تعمل فرغبتَ ان تعيدَ شريطَ الذاكرةِ من بدايتِه!

منذ خمسةٍ وعشرين عاما كنتَ في الرابعةِ من عمرك ! لم تكن كما انتَ الآن ... كنتَ نضرا وبلا هموم وكان قلبك قطعة واحدة ! ولم تكن تخش شيئا سوى ابا كيس ذاك الذي كانت تخبرك جدتك بانه ياخذ الأطفال الذين لا ينامون كي تخاف وتنام فكنت تخاف ولا تنام ... كنت تدفن رأسك بحضن جدتك وتتظاهر بالنوم وكنت تستفيق في اليوم التالي سعيدا لأن ابا كيس مر بك وظنك نائما فتركك واخذ سواك ! ماذا افعل لك غبي منذ صغرك

ها أنتَ في التَّاسعةِ والعِشرين إذاً ... لم تكنْ ترغبُ في أن تصلَ إلى هنا ولكنكَ وصلتَ ! رغم أنَّ فرصاً كثيرة سنحتْ لكَ لكتابةِ الفصلِ الأخير من

الرِّوايةِ المسماة حياتكَ!

في الخامسةِ من عمركَ قالوا لكَ أُدخل لتودعَ جدَّكَ ... كان نائِماً دون أن يزعجه شيء حتى صوتُ خريرِ صدرهِ الذي أَنهكَه التَّبغُ الذي كانَ يلفُّه بيديهِ ... اقتربتَ منه وقبلتَهُ قبلةً عابرةً دون أن تعرفَ أن الوقتَ لن يسمحَ لكَ بقبلةٍ أُخرى ... وحينَ حملُوه وأَخرجُوه بكى الكلُّ إلا أنتَ فقد كنتَ تظنُّ أنَّه ذهبَ ليحضرَ كل الاشياء التي كان قد وعدكَ بها ...
وعندمَا تأخَّر كنتَ قد كبرتَ بما فيهِ الكفايةَ لتعرفَ بأنَّه لنْ يعودَ ولِتأكلَ أصابعكَ ندامةً لأنَّ قبلتكَ كانتْ عابِرة!

في السادسةِ من عمركَ كنتَ تعبثُ بالكهرباءِ رغمَ أنَّ أُمكَ حذرتكَ الفَ مرةٍ من أن تقربَها ولكنكَ لا تذكرُ انَّهم منعوكَ عن شيءٍ الا فعلتَه او فكَّرت جَدياً ان تفعَله ... أمسكتكَ الكهرباءُ يومذاكَ ولا أحد يعرفُ حتى اللحظَة لما تركتكَ السببُ الوحيدُ المقنع ان مذاقكَ كان سيئاً حتى على الموت!

في السَّادسةِ أيضاً كنتَ تحاولُ أن تقطعَ رأسَ لعبةِ أُختكَ فغرزتَ السكينَ بركبتكَ ... الغريبُ انكَ على شيطنتكَ كانتْ هذه هي المرة الأولى التي تلتقي فيها بدمِكَ ! كانَ وردياً كلونِ ما مرَّ بكَ من دم ! إذاً لماذا كان جدُّكَ لأمِكَ حينَ يضيقُ بكَ ذرعاً يقول : هذا الصبيُّ لا يشبِه البَشَر!

في الثامنةِ عبرتَ الشارع قبل صديقكَ عمر وانتظرتَه على الجهةِ الأُخرى ولكنه أخلفَ موعِده فقد حالتْ سيارةٌ بينكُما ولمَّا ارتطمَ بالأرضِ حالَ

الموتُ بينكُما ... كانَ دائِما يعبرُ قبلكَ ولكن هذه المرة كان عليه ان يتأخر كي يموتَ مرةً وكان عليكَ ان تسبقه لتموتَ كل يوم مئة مرة!

تدخلُ الممرضةُ لتقطعَ عليكَ شريطَ ذكرياتِك ... تطمئنكَ بأن حرارتكَ مستقرَّة وتخبركَ بانكَ كنتَ طيلةَ الليلِ تهذي ... وانك كنت تتمتم بكلماتٍ حاولتْ ان تفهمَ شيئاً منها فلم تفلح ... شيء ما كنت تقوله لا تعرف انت ايضا ما هو ... حاولتَ ان تتذكر ولكنك فشلت. بعض الكلمات لا تشتعل الا بحالة حمى ... عليك ان تنتظر مرضا آخر ولكن لا تنس ان تصطحب معك دفترك!

هيفا وأخواتها

.

.

إنّ الغناءَ أولُ ما ينهارُ حين يُصابُ المجتمعُ بالتدهور

ابن خلدون

وليس بعيداً عن ابن خلدون فقد سُئلتْ هيفاء وهبي : إذا جاءكِ بابا نويل ليلة الميلاد فماذا تطلبين منه ؟

أجابتْ : سعرُه بسعرِ غيره ، خمسة آلاف دولار!

هذا ما يسميه دعاة الإصلاحِ الإداريّ بتكافؤ الفرصِ ، وما أسميه أنا تقدمة الخدمة إلى المستهلكِ بسعر الكلفة ، فإذا ما أخذنا بالحسبان تكلفة عمليات الشفطِ ، والشّد ، والنفخ ، فسيبدو السعرُ معقولاً وإن ساوى أربعة أضعاف راتب مدرّسٍ قضى شهره يتنططُ أمام تلاميذه كالقردِ محاولاً إقناعهم أنّ العلمَ مقروناً بالايمان بإمكانهما تعديل الكفة الآخذة في الإنحدارِ يوماً بعد آخر!

أو سبعة أضعاف راتب ممرضٍ يبقى طوال الليل ساهراً في غرفة العناية الفائقة وعيناه مسمرتان على جهازٍ يشي بدقات قلبِ عجوزٍ لا يعرفُ أولادها كيف يتدبرون أمر فاتورة تزداد تضخماً بانتظار أن يستعيدَ القلبُ سيرته الأولى مع الخفقان!

أو أحد عشر ضعفَ راتبِ عاملِ تنظيفات ينهضُ قبلَ جهجهة الضوءِ

ليمحوَ عن الأرصفةِ إثمَ الساهرين وزجاجاتهم الفارغة !

وعوداً على ذي بدءْ أجدني متعصباً لرأي ابن خلدون لا لأنه حين وضعَ علمَ الإجتماع ، وأصّل أصوله ، وبنّدَ فروعه ، كان أمام إيميل دوركايم مؤسس علمِ الإجتماع الأوروبي خمسة قرونٍ ليولدَ ، ويبدأ بتغير حفاضاته ، ثم يكبر ويجترَّ كثيراً مما قاله ابن حلدون . بل لأني لم اعهد الرجلُ إلا صادقاً . ففي وطنٍ عربي مترامي الأطراف على امتدادِ قارتين وعمقهما يقضي الطيّبُ صالح عاماً كاملاً يتأملُ انتفاخَ صدرِ النيلِ ثم يُخرج لنا من رحمِ هذا الإنتفاخِ موسمَ الهجرةِ إلى الشّمال ليموتَ الرجلُ بعدها وهو اقلّ شهرةً من شعبان عبد الرحيم!

مُذ صارتْ أمة إقرأ تطربُ ولا تقرأ ، وتجدُ أنّ تحريكَ الخصورِ أقل عناءً من تحريكِ العقولِ ازدادتْ انحداراً.

نظرة موضوعية على واقع الطربِ كفيلة أن تخبرنا أنّ العربَ انحدروا بعد تسامُق ، فحين تغني المطربة بجسَدِها ، ويستمعُ المستمعُ بعينيه ، وتقولُ له دانا : " فتّح عينك تاكل ملبن " لا بدّ إذاً من تصديقِ مروة : " فالصراحة راحة وإنت ما بتعرفش " ، فهل تعرفون أينَ يقفُ العربُ الآن بحسب مقياس ريختر للأممِ القابعة تحت الانقاض.

أتفه من الذي يغني ومن الذي يطربُ هو من يكتبُ هذه الأغنيات التافهة !

طبعاً من حق كل إنسانٍ أن يكتبَ ما شاء ، وأن يسميَ كلماته بما شاءَ من تسمياتٍ أيضاً ، كأن يكتبَ على جلدةِ دفتره : " بعد هذا فلتخرس الاقلام " أو " إليإذة الحروف " ، وله أن يتّبعَ الستايل القديم في تسمية الكتابات كأن يسميها " وحي القلم في خير ما قالته العربُ والعجم " أو " خمرُ الأقلام لنعنشة الأنام " أو " البيان في ابداعات أبلغِ عباد الرحمن " ولكن بشرطِ أن تبقى مقبورة بدرجِ مكتبه ، أمّا في اللحظة التي يقرر فيها إطلاق كلماته من دائرةِ أشيائه الخاصة فعليه أن يعرفَ أنّ هناكَ فرقاً شاسعاً بين الكتابة وبين الزنى بالكلمات!

عقاربُ السّاعةِ الآن تشيرُ إلى الواحدةِ ليلاً ، وها أنا جالسٌ وحدي أكتبُ هذه الكلمات آملاً أن أجنبها عناء السفرِ إلى شتات ، في يدي اليمنى كوب يانسون ، وفي يدي اليسرى قلم رصاص ، وشعورٌ بالسّخطِ يتملكني لأني كتبتُ كثيراً ولمْ أقلْ شيئاً بعد ! وفي غمرة سمفونية الأبجدية واليانسون أحاولُ أن أتخيل وضعية التافه الذي زوّد سعد الصُغيّر بمعزوفته الشهيرة " بحبك يا حمار. "

رأسُ التفاهةِ أن لا يعرفَ التافه مدى تفاهته !

رجلٌ يقتلُ زوجته الراقصة لأنه ضبطها مع رجلٍ آخر ، المسكينُ لم يكنْ يتوقعُ أن يرى هذا المشهد ، فالذي يتزوجُ من راقصةٍ يتوقعُ أن يضبطها متلبسةً بالقيام في الهزيعِ الأخير من الليل!

راقصةٌ ثانية تبكي على أطفال غزة ، ثم تهدي رجالها رقصة علّها تبلسم جراحاتهم!

ثالثة تخبركَ أنّها تحرصُ على الحج والعمرة تقرباً إلى الله ، ماذا تفعلُ الماشطةُ بالوجه العكر ؟! ، أوليسَ الذي أمر بالحج قد امر بالعفة من قبل ؟

راغب علامة يُحاضرُ في الانوثة ، ويتذمرُ من بشاعة المرأة السودانية وتخلفها ، فالجمالُ هو أن تكون المرأة مطرزة بالتاتوهات ومرصعة بالحلي في أماكن لا يعلم بها إلا الله . والحضارة أن تتسكع المرأة في شوارع الروشة والحمراء والداون تاون حتى مطلعِ الفجر!

إلى أي مدى متخلفة هي المرأة التي ربّتْ الطيب صالح وإخوته شبراً بشبرٍ بعد أن خلّفهم أبوهم قطعاً من اللحم الصغير بأفواهٍ عليها أن تأكل كثيراً لتكبر ، وعقول عليها أن ترتاد الكتاتيب لتستنير وتؤتي أكُلَهَا ، وإلى أي مدى متحضرة تلك المرأة التي خرّجت لنا العلامة راغب علامة.

ثم إني بطلتْ السجاير وصرتْ إنسان جديد ، ومن اول يناير خلاص حشيل حديد ، ايييييييييه

يا بخت

من وفق راسين بالحلال

اضطرت امرأَةٌ للنومِ خارجَ منزلِها ، وحين حضرتْ صبيحةَ اليومِ التَّالي اخبرتْ زوجَهَا أَنَّها كانتْ بمنزلِ إحدى صديقاتِهَا ، ولمَّا دخلتْ غرفتَها اتَّصلَ الزوجُ بصديقاتِها العشر ، سبعٌ منهنَّ نفينَ ذلك ، أَمَّا الثَّلاثُ الباقياتُ فأَقسمنَ أَنهنَّ لم يرينَ خلقتَها منذُ أُسبوع!

بعدَ أَيامٍ نامَ هو خارجَ البيتِ ، ولما حضَر صباحاً أَخبرها أنَّه كان في منزلِ صديقه ، وللمعاملةِ بالمثلِ اتصلت الزوجةُ بأصدقائِه العشرة ! سبعةٌ منهم أَكدوا ذلكَ ، أمَّا الثلاثةُ الباقون فأقسموا بالله أنه ما زال موجوداً عندهم ولكنَّه لا يستطيعُ أَنْ يكلمها لأَنَّه يقومُ بحلاقةِ ذقنِه ووعدوها أَنَّه سيكلمهَا حين يفرَغ!

إذا كنتَ من أَهلِ الظَّاهر فإنَّ أَول ما سيتبادرُ إلى ذهنك أن النساءَ صادقاتٌ وأن الرجال كذابون.

أمَّا إذا كنتَ من أَهلِ التأَويل فستؤمنُ يقيناً أَن صداقةَ النِّساء هشةٌ كقطعِ البسكويتِ ، وأَنَّ الرجالَ يستميتون في الدفاعِ عن عثراتِ بعضِهم البعض !

بعدَ شهرٍ من زواجنَا قررتْ زوجتي أَن تدعو صديقاتِها لتناولِ الغداءِ عندنا ، وأَصرَّتْ أَن تعرفهنَّ عليَّ ، ولا أَعرفُ حتى اللحظة كيف جرجرتني وجعلتني أَقرأُ على مسامعهنَّ بعضَ الكلماتِ التي كتبتَّها لها.

المُهم وبلا طولِ سيرة _ كما تقول جدتي _ قرأتُ وانصرفتُ.

لا أَعرفُ ما الذي دارَ بينهنَّ بعد ذلكَ ، كل ما أَعرفه أَنهنَّ كلَّما حضرنَ تخترعُ لي مشواراً أسميهِ أَنا الطَّردُ بطريقةٍ أدبيةٍ !

إذا أردتَ أَنْ تعرفَ عيوبَ المرأَةِ فاذكُر محاسنِها أَمامَ صديقاتِها!

في الحقيقةِ لا أَعرفُ من العبقري الذي سبقنِي لهذه المقولة ولكنَّ القائلَ قد أصابَ كبدَ الحقيقة.

في السَّنتينِ الماضيتينِ سعيتُ لتزويجِ كلِّ عازبٍ أَعرفه عن قربٍ ، لسببٍ واحدٍ هو الأجر العظيم الذي يناله من يجمعُ رأسينِ على وسادةٍ واحدةٍ في الحلال ، ولسببٍ آخر هو حبُّ الانتقامِ والتَّشفي من كل الذين تفرَّجوا عليّ وأَنا أَهمُّ بالزواجِ ولم يتكرَّموا بنصيحةٍ حتى!

في المدرسةِ قدتُ اثنينِ من زملائِي إلى مصيرهم المحتوم ، فالمميزُ فيَّ أَني أَستطيعُ أَن أُبددَ مخاوفَ الآخرين وهواجسَهم تجاهَ هذه التجربةِ العظيمة في لحظاتٍ ، وشهرتي في هذا بلغت الآفاق!

إحدى المُدرِّساتِ اللواتي أَعرفهن قالت لي تمازحنِي : الأَقربونَ أولى بالمعروفِ ، فما كانَ مني إلا أَن جبت آخرتها الشهر الماضي ، وكان الضحيَّة صديقُ خالي.

أمي حدثتْ جارتنا أم أَنسٍ عن بطولاتي فما كانَ من أُم أَنسٍ إلا أَنْ حجزتْ موعداً معي غيرَ مدفوعِ الأجرِ طبعاً ، وقبلَ أن ترتشفَ فنجان قهوتـهَا كانتْ قد أَخبرتنِي أَنَّ عبير ابنتـها (واقف حالـها) وانـها في الحقيقةِ لا تعرفُ السببَ وراءَ هذا ، خصوصاً أَن عبير على وصفِ أُم أَنس أَجمل من بروك شيلدز ، وأَكثر حضوراً من خديجة بن قنة ، وأَكثر حناناً من الأَم تيريزا ، وفوق كل هذا هي في المطبخِ أمهر من كل طهاةِ القناة المباركة (فتافيت) التي تشاهدها زوجتي أَكثر مما تشاهد فاطمة ابنتي قناة طيور الجنة!

قصة عبير ذكرتني بالمرأة التي قالتْ لزوجها الأعمى : لو أبصرتَ جمالي وحسني ودلالي ، فقال لـها : لو كانَ ما تقولينَه صحيحاً ما تركك المبصرون لي!

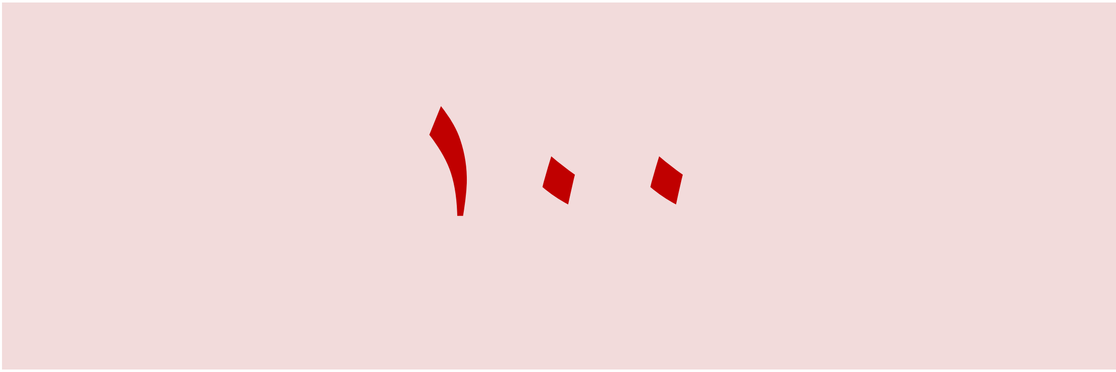
المهم وبلا طولِ سيرةٍ أيضاً ان رسالةَ ام انس وصلت والعمل على قضية عبير جارٍ على قدمٍ وساقٍ ، وانا حالياً اطبخُ على نارٍ هادئةٍ ، وأُطمئنكم ان ملامح الرجل الذي سيدعو عليَّ قد تكشفت ! لأنـي أَعرفُ ان كل رجل يعتقد انـه لا يوجد في الدنيا سوى امرأة شريرة واحدة هي زوجته

الكلُّ يعرف أَنه في فترةِ الخطوبة يتكلَّم الرَّجل وتصغي المرأَة ، وفي الفترة الأولى للزواج تتكلم الزوجة ويصغي الزوج ، وفي مرحلةٍ متقدمة يتكلم الزوجان ويصغي الجيران ! ولكن كل واحد مُصِرٌ على المطالبةِ بحقهِ من

هذه البهدلة

الأَمر الذي يجعلني أُفكر جديا بتركِ التَّدريس وإفتتاحِ مكتبِ تزويج ،

بإمكانكُم البدء بإرسال الطلبات.


١٠٠

.
.
.

صباحُ الحكاياتِ التائهةِ التي ضلّتِ الطريقَ إلى حناجرِ رواتِهَا فماتوا في رُبعِهَا الخَالي قافلةً إثر قافلة ... ظمْأى

صباحُ الحكاياتِ الآثمةِ لن يرويهَا إلَّايَّ ، ولن يقرأها إلَّاكَ

ثكْلى كالخنسَاء ... بلهاءَ كهَنبقة ... جشِعةً كأشعب ... بها مسٌّ كجُحا ... ثمِلةً كأبي نوَّاس ... هجَّاءَةً كابن الرومي ... متطيرةً كالمعريّ ... مُتعجرفةً كالمتنبي ... أسِيرةً كأبي فراس ... قابعةً في زاويةٍ كـ واصِلِ بن عطاء ... أعتزِلُهُم لأقصَّها عليكَ في رسالةٍ ستأتيكَ حافيةً عبر قارةٍ ومحيطٍ ، فحينَ تصلكَ جففها ، واربتْ على كتفها من عناءِ المسَافة ، وحينَ ترتاح عندكَ جرِّبْ شيئاً غير قراءَتِها ، فما المُغري في الرسالة المئة ؟! اضمُمْها إلى نعاجِكَ فقد أكفلتُكَهَا ولن أعزّكَ في الخِطاب!

تسْألني - وقد بلغتَ المئةَ قبلي أيهَا الطاعنُ في الهزائِمِ - ما أخبارُ الصَّحراءِ ، وكيفَ هُم الأعرابُ ، وما فعلتِ القافلةُ ، وقومُكَ ، والكوكبُ المجنونُ الذي ظنَّوه يوماً قابعاً على قرنِ ثورٍ فإذا به يسبحُ في محيطٍ خالٍ من المَاءِ ؟ وليكنْ الخبرُ بلونِ الصَّباحَاتِ !

صَباحُكَ عطشٌ ، خرجَ قومُكَ لصلاةِ الإستسقاءِ بلا مظلاتٍ فأنّى يُستجابُ لهم ! وإمامُ مسجدِنا القديمِ بُحَّ صوتُه وهو يخبرُهُم أنَّه ما قلَّتِ الأطباقُ

على الموائدِ إلا لأنّ أطباقاً أخرى كثُرتْ على أسطحِ المنازلِ ، وأنّه ما غلَتْ لحومُ البهائمِ عند الجزّارِ إلا لأنَّ لحومَ النساء رخِصَتْ في الطرقاتِ ، وأنَّ الناسَ في عهد سُليمان عليه السّلام أُمطِروا بدعاءِ نملةٍ قالتْ : " اللّهُمّ إنك تعلمُ أنّ البلاءَ لا ينزلُ إلا بذنبٍ ولا يُرفعُ إلا بتوبةٍ ، وإنّا خلقٌ من خلقِك ، وعبدٌ من عبيدِكَ ، فلا تهلكْنَا بذُنُوبِ بني آدم" !

فرفعُوا أيديَهُم إلى السَّمَاءِ قائلينَ : اللّهم أصلِحْ وُلاةَ أمورِنا ، ورفعتُ يديّ أقولُ : اللّهم إني أسألُكَ فهم نملة!

صَباحُ أمكَ متوهجةً قُربَ تنّورِها تهبُني الرغيفَ الأوّلَ وتسألُنِي : متى يعودُ الشّقِيّ ؟!

صَباحُ قهوتِها المُرَّة ما أحلاها

صَباحُ العيدِ متسولاً على بابها يسْألها كعكةً

صَباحُ أمي تهدِّىءُ روعَ الحبقِ في الدار ، فيغارُ القرنفلُ ، ويتسَارعُ الياسمينُ لمصْرَعِه عند قدميها

صَباحُ أبيكَ يتشكّى لأبي ، كبر الأولادُ يا حج ... وشِبْنَا

صَباحُ أبي يقرأُ حديثَ الجُدرانِ خِلسةً

صَباحُ حارتِنا المَجنُونة

صَباحُ النِّسوةِ اللائي يتشاجرنَ مع أزواجِهِنَّ كلّ يومٍ ، ثم ينسينَ في طريقِ الصُّلحِ حبوبَ منعِ الحَمْلِ وينجِبْنَ كل تسعَةِ أشهرٍ ولد!

صَباحُ فيروزَ تصدحُ في بيتِ أبي عادلٍ ، فتردُّ عليها أم عمرَ بصوتِ أحمد العجمي : إخرسي

صَباحُ عامر يقذفه الأولادُ ببقايا تُفاحٍ في أيديهم ويختبئون ، فليتفتُ ويراني فيقولُ : أأنت فعلتَ هذا يا حيوان ؟! فابتسمُ له ، فيناولني الثانية : إضحك يا مجنون !

عامرُ بمفهوم الحارة مجنونها ، والحارة بمفهومه مستشفى مجانين وهو طبيبها

صباحُ القافلة أناختْ مطيتها بخيمةِ غيرك ، بودِّي لو أخبرتكَ أنّها سمَّتْ ابنها البكرَ باسمِك حفاظاً على ذكراكَ لعلَّ ذلكَ يساعدكَ على التأسِّي ولكنَّها للأسفِ تعقلتْ ولمْ تفعلْ!

هل أخبرتُكَ أن قافلةَ عِمَادٍ لم تتعقلْ وفعلت ، ولكنّه لم يتأسّ ، فقطْ صارَ يكرهُ الحياةَ أكثر !

صَباحُ خيبتك ، كنتَ تراها قبلَ أن تبدأَ ولكنَّك مشيتها حتى آخر خطى الفاجعة !

صَباحُ الأشياءِ التي تُحبّها...

صَباحُ قسٍّ على جَملٍ أحمَرَ يخطبُ بحضْرةِ كُفارٍ ... ونبيّ

صَباحُ تأبّط شراً يستأنسُ بقلبه ... وبذئبٍ

صَباحُ عُروةَ يُسابقُ الخيلَ ... بقدميهِ

صَباحُ النابغة يأكلُ خبزاً ... بشِعْرِه

صَباحُ تماضِرُ ترثي صَخراً ... بدموعِهَا

صَباحُ زُهيرٍ في الثمانين ... ضَجِراً

صَباحُ إمرىء القيسِ على أبوابِ كِسْرى ... ضليلاً

صَباحُ طَرَفةَ يقتلُه ابن هندٍ لأنه كانَ طويلَ حُلمٍ ... ولِسَان

صَباحُ الحَارثِ بن حِلزة قتلته عيونُ ... أسماء

صَباحُ حسّانَ يهجُوهُم وروحُ القُدُسِ ... معه

صَباحُ ابن أبي ربيعة يتغزلُ ... بنفسِه

صَباحُ جميلٍ وأولُ ما قادَ المودةَ ... سِبابُ

صَباحُ جرير يهجُو الأخطلَ ، والفرزدقُ يمسِكُ بزمامِ ناقةِ الحُسين قلوبُ النَّاسِ معكَ وسُيوفُهم ... عليكَ

صَباحُ ابن الروميّ يتسخّطُ واسطَةَ العِقْدِ ... ابنَه

صَباحُ بشَّارٍ يتغزّلُ ... أعمى

صَباحُ المتنبي يهجُو كافوراً وكافورُ ... يطرب

صباح أبي العتاهية المال كثير ... ويزهد

صَباحُ أبي فراسٍ جارتُه ... حمَامَة

صَباحُ الجاحظِ جثةً ومكتبتُه ... فوقَه

صَباحُ الشَّافعيّ يشكو لوكيعٍ ... أنْسَى

صَباحُ غسّانَ محمومٌ على فراقِ غادة

صَبَاحُ درويشَ في قصرِ الأنيسكو يقولُ لنا : اسمحُوا لي وحتى أن لم تسمحوا لي فسأبقى ... أحبكم ، فتنظرُ إليّ وانظرُ إليكَ من الدّهشَةِ ونصفقُ ... مذهُولِيْن

صَباحُ بيروتَ ليسَتْ شهيةً كمناقيشِ النابلسيّ

صَباحُ مبنى الهندسةِ وشجرةِ الدِّفلى تعرفني قادماً إليكَ بلا مسطرةٍ على شكل (T)

صَباحُ مبنى الآدابِ والقاعة ٣٠٢ تعرفك زائراً / مقيماً في محاضراتِ فقهِ اللغة

صَباحُ صخرةِ الرّوشةِ مثقوبةً ... كقلبِكَ

صَباحُ " بييل " ومعرضُ الكتابِ ومجموعةُ المنفلوطي لم تسدد لي ثمنها بعد يا ... نصّاب

صَباحُ الغُرباءِ

صَباحُ سيد مشنوق ليرضى ... طاغية

صَباحُ عزام دمُه مهرٌ لـ ... بغي

صباح رائد سجنه أرحب من ... وطن

صَباحُ جنرالاتِ طالبان تخرّجوا من مدرسةِ ... الأنفال

صَباحُ عمائِمهم تقولُ لخوذاتِ جنودِ النيتو ... طز

صَباحُ قذائفِ الهاون في محيطِ قصرِ كرزاي تقولُ له ... تفو

صَباحُ بن لادن جيبُه مخرومٌ وقلبُه ... ثري

صَباحُ الأشياءِ التي تكرهها

صَباحُ غزة ما زالتْ في حبسِهَا الإنفراديّ علّها ... تتأدب

صَباحُ الجامعةِ العربيّة وقّعتْ وثيقةَ المقاطعة ، باسمك اللهم طُرد جورج غالاوي ودخلَ عصُّومي ... ووليد

صباحُها كمسائِها ، موتُها كحياتِها ، والشهيقُ فيها يشدُّ الزفيرَ من ياقةِ

قميصِه لنمارسَ التنفسَ بلا استحياءٍ وحدَه الهواءُ كالموتِ ... بالمَجَان

صَبَاحُ الحافلاتِ آمنةً في تلِّ أبيب وعياشٌ في الجنّةِ يعضُّ على ... أصابعِه

صَباحُ الثورةِ صارتْ دولةً على ظهرِ ... حِمار

صَباحُ عباسَ المنبطِحْ ، ودحلان حبيبُ الموساد ، وفياضُ هبةُ ... أمريكا

صباحُ ضاحِي خلفان أكثر شعبية من ... شارلوك هولمز

صَباحُ إيران تريد المالكي ، وأمريكا تريد علاوي ، والفلوجة تشتاقُ ... أبا مصعب

صَباحُ ويكليكس وشلّةُ الأنس ، ليفني وعباس ومبارك

صَباحُ صناديقِ الإقتراعِ ماتَ الناسُ في الطريقِ إليها والذين وصلُوا وجدُوها ملأى ... بأصواتهم

صَباحُ حناجِرهِم المضروبة بالشمعِ الأحمرَ وممنوعة إلا من لعبةٍ ... ديمقراطية

صَباحُ الوراثةِ جمالٌ قادمٌ وكلُّ من تريده أمريكا ... آتٍ آت

صَباحُ السُّودانِ يقبلُ القسمةَ على ... اثنين

صَباحُ فلسطينَ تقبلُ القسمةَ على ... ثلاثة

صَباحُ النفطِ يقبلُ القسمةَ على ... أمير المؤمنين

صَباحُ الشعبِ ابن الستين سبعين ثمانين طوووووط لا يصلحُ إلا ... للضرب

صَباحُ سايكس بيكو اتخذتها الدساتير ... قِبلةً

صَباحُ جهادِ السوفييت إرهاب أمريكا

صَباحُ جحيمِ الروس نعيمِ السي آي إيه

صَباحُ الأشياءِ التي تعرفها دوناً عنّي

صَباحُ مطعمِ جوستو في باريسَ يهبُكَ حساءً بلا ... ملعقة

صَباحُ افعوانيةِ بارلين تحلّقُ ... بك

صَباحُ أشيائك أريدُها لكَ وحدكَ وتصرخُ بي انشُرها لا ... تخصني

صَباحُ أمك ترددُ بصوتٍ عالٍ وأنا بصمتٍ : متى يعودُ الشّقيّ.

.

.

أرق

.

.

1

أتذكرُ حَكايَا مَا قبلَ النّوْمِ يَا أبِي ؟

كُنتُ أهُشُّ بهَا على أرقِي فأنام

وكلمَّا ضَممتُ رأسِي إلى جناحِكَ خرَجَتْ أحْلامِي بيضَاءَ من غيرِ سُوءٍ

فلمّا قصَصْتَ عليَّ حِكَايةَ الصَّبيّ الذي قالَ لأبيهِ : " افعلْ ما تُؤمَر"

صِرتُ كلمّا سَمعتُ وقعَ قدميْكَ قُربَ سَريري وضَعتُ يديّ على رقبَتِي

خِشْيةَ أن تذبَحنِي غِيلةً

يا أبتِ إنّ دُفَّ نعليكَ يَصمُّ نوْمِي

هلّا كففتَ عن الطَّوافِ بأرجَاءِ البَيتِ فإنّي أريدُ أنْ أنَام!

.

.

2

كلُّ هذا النُّعاسِ الذي أحمِلُه لا يكْفِي لعَقْدِ صَفقَةِ نَومٍ مع هذِهِ الوِّسَادة

للنَّومِ ثَمنٌ باهِظٌ هذِه الأيام

أو لعَلَّ السِّعرَ كانَ دوماً هكَذَا

غَيرَ أنَّ الفُقرَاءَ يجِدُونَ الأسْعَارَ باهِظةً مهْمَا كانَ الثَّمنُ بخْساً

كـَ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ من " هدْأةِ البالَ "

.

.

3

أخرجُ إلى المَقْهَى في سَاعةٍ مُتأخِرَةٍ من الأرَقِ

يُناولنِي النَّادِلُ قائِمَةَ مشْرُوبَاتٍ طَويلَةٍ

أبْحَثُ بينَهَا عن فِنْجَانِ نَوْمٍ فلا أجِد

يسْألُنِي : مَاذا تُريدُ أن تَشْرَبَ يا سَيِّدِي

هَمَمْتُ أنْ أقُولَ له : علّمنِي كيفَ أنَامُ وكُنْ سَيّدِي

ولكِنَّنِي في لحْظَةِ ارتبَاكٍ طلبْتُ فِنْجَانَ قهْوةٍ

فنَامَ البُنُّ في فمِي ولمْ أنَمْ!

.

.

4

للرَّأسِ المَحْشُوّ بالهَمِّ

للوِسَادةِ التي ليسَ لهَا لسَانٌ فتتَضَجَّرَ من حُمُولَةِ الرَّأسِ الزَّائِدَةِ

للشَّراشِفِ التي تُكَابِدُ كي تبقَى بيضَاءَ ولكنَّهَا ترجِعُ كلَّ مَرّةٍ خَائبَةً

للأغْطِيةِ النّقيةِ التي تتَلوثُ بمُجَاورَةِ قلبٍ ليسَ كذلِك

للسَّريرِ الذي يتَمنَّى لو بقِيَ شَجَرةً يُعَشِشُ في رأسِهَا الطَّيرُ

للسَّتائرِ التي تُحوّلُ النَّهارَ إلى ليْلٍ ثم تعْجزُ عن إهْدَائِي لحْظةً من كَرَى

لحَكَايا الرُّعْبِ في لحْظَةٍ ما قبْلَ النَّومِ

للَيْلَى الشِّريرَةِ التي افترَسَت الذِّئبَ وجَدَّتَهَا وشَقَّتْ أبَاهَا بالفَأسِ نِصْفَين

لبيَاضِ الثَّلجِ التي تآمَرتْ مع خَالتِهَا وقتَلَتْ الأقزَامَ السَّبعةَ بِسُمٍّ دَسَّتْهُ في شِطْرِ تُفَاحَةٍ

لعَلِي بابا الذي صَارَ زعِيمَ اللَّصُوصِ ثمَّ غيّرَ كلِمَةَ السِّرّ واسْتَأثَرَ بمَا في المَغَارةِ وحْدَه

لبينُوكيُو الصَّادِقِ الأمينِ من خَشَبٍ الكذَّابِ الأشِرِ من لحْمٍ ودَم

لسَامِ الأحمَقِ الذي استبدَلَ بقرةً بسبْعِ حبَّاتِ فاصُوليَا فَجَرَّ على أمّهِ جُوعَ ليلةٍ ولكنَّهَا رغْمَ جُوعِهَا نامَتْ

لسَندرِيلا التي نزعَتْ بطَّاريَّةَ السَّاعَةِ قُبيلَ مُنتَصَفِ الليلِ بلَحْظَةٍ فظَلَّتْ تُراقِصُ الأميرَ وتُغيظُ بناتَ خالتِهَا حتَّى مَطلَعِ الفَجْر

لحُلْمٍ مع وقْفِ التَّنفِيذِ

لكُلِّ هؤلاءِ أريدُ أنْ أنامَ

.

.

5

لَمْ يَعُدْ بإمْكَانِي أنْ أرَاوِدَ وِسَادَتِي عن نَفْسِهَا

سَمِعْتُها الليلةَ المَاضِيَةَ تُحَاضِرُ في العِفَّة

أخيراً قَرَّرتْ أنْ تمُوتَ ولا تأكُلَ بثَدْيَيهَا

إذنْ عليّ أنْ لا أكْرِهها على البغَاءِ مع أرقِي بعْدَ أنْ أرَادَتْ تَحَصُناً

ولكنِّي ما زِلتُ أريدُ أنْ أنامَ

.

.

علمتك الحياة

ما لم تعلمك إياه مدرسة

اكتشفت هذا الصباح شيبا في رأسك .. كانت شعرة واحدة ولكنّ أول الشّيب شعرة ! ... كنت تظن أن الكلمات هي التي ترقّ◌ّ◌ّع ضعفك ولكنّك اكتشفت بعد فوات الأوان أنّ حروفك شيّبتك ... كبرت حقا يا ولد ... ها أنت في التاسعة والعشرين .. كتبت كثيرا ... أحببت كثيرا .. متّ كثيرا .. وها أنت في آخر المطاف مشدود إلى ورقة وقلم!

علمتك الأيام ما لم تعلمك إياه مدرسة!

علمتك أن الأمنيات مشروعة ولو كانت مستحيلة فتمنيت ولادة جديدة لتحب كل الذين تشعر الآن أنك لم تفرط بحبهم ... لتمشي باتزان على طرق أدمنت خطاك المتعثرة ... لتعدّ حبات الكحل في جفن أدماك ...لتسأل جدك عن قصة همّ كنت تقرأه في عينيه ... لتتمرغ في حضن جدتك وتطلب منها أن تداعب شعرك وتفصلك عن جاذبية الأرض بأطراف أصابعها ... تمنيت كثيرا ولكنَّ أمنياتك كلها لم تتحقق ، ربما لأنك نحسٌ أو لأنك تتمنى ما يستحيل أن يكون!

علمتك الأيام أن الأبيض والأسود أقرب إلى بعضهما من الرماديّ ، لهذا أحببت أعداءك أكثر مما أحببت أنصاف أصدقائك !

لطالما كنت تكره أن يقال عن الأبيض والأسود أنهما ليسا ألوانا إنما هما انعدام اللون ! وكنت تتساءل ألا يوجد في هذه الدنيا مكانٌ حتى للون ؟!

علمتك الأيام أن أحبَّ جروحك إليك هي تلك التي تحفرها بيديك، فأحببتَ جروحك حتى الهلاك ... أحببت جدك في حبة القمح وكرهته في الرغيف ... أحببت جدتك أول القصيدة وكرهتها في ختام النشيد ! كنت دائما تكتب مقولتك البلهاء في الحب:

الحب الحقيقي يحمل بين طياته شيئاً من الكراهية!

وكنت تقول مفسّرا نحن نكره الذين نحبهم لأنهم يستعبدون أعماقنا ونحن نكره أن يستعبدنا أحد ... وكنت دائما متناقضا ... بعض الناس كانوا صليبك وخلاصك في آن معا ! وعشت ومتّ بين يدي امرأة ! ورأيت ثلجا ونارا في عيون أخرى ! وما زلت تسأل نفسك من أين أتاك الشيب ؟ كبرت حقا يا ولد

علمتك الأيام ما لم تعلمك إياه مدرسة ! وما يستحيل أن تعلمه أنت لطلابك ... على صفحاتها قرأت أبجدية البشر وتعلمت أنك حين تكره أحدا فإنك تدفنه في أعماقك فأزعجك أن تكون قبرا فأقلعت عن الكراهية ! كنت ترى أنه لا أحد يستحق أن يدفن في أعماقك فكنت ترحل بصمت أو ربما هي عادتك في المواجهة (الهرب) ... تخفي ضعفك وراء نبرة صوتك وترتأ بحروفك عجزك كما كانت جدتك ترتأ بإبرة الفتحات في ثوب جدك!

علمتك الأيام أن أقصر طريق للوصول إلى الحب هي أن تحب ...

فأحببت الذين يدمنون الحروف مثلك ... لهذا اسمحوا لي وحتى إن لم تسمحوا فسوف أبقى أحبكم

ابتسم أنت في لبنان

في هذا البلدِ الذي لا يقرأ شيئاً خارجَ حدودِ النَّص الذي أُعِدَّ له وُجِدْنَا أنا وأَنتَ ... وكجملةٍ اعتراضيةٍ خرجنَا من خاصرةِ النَّص المكتوبِ ... وقبلَ عامينِ من اليوم تقريباً قررنا في اللحظةِ الخطأ والزمانِ الخطأ أَن نتبادلَ الرسائل !

وبعد عامينِ من الهذيانِ المتقنّعِ بالكلماتِ وَجدْنَا أَن أَدبَ الرَّسائل يا صديقي بحاجةٍ إلى أَحمقينِ أَحمقٌ يكتبُ وأَحمقٌ يقرأَ ثم يتبادلانِ الأَدوار!

هذه كانتْ مقدمةَ رسالةٍ تُؤرّخ لعامينِ من الجنونِ وما الكتابةُ إلا جنوننا حين يأخذُ شكلاً لُغويا!

والبلدُ الذي كنتُ أَتحدَّثُ عنه هو لبنانُ طبعاً

ابتسم أَنتَ في لُبنان

هنا تذهبُ برفقةِ زوجتكَ إلى معرضِ الكتابِ في (بييل) على بُعد خَطواتٍ من (الداون تاون) أرقى مكانٍ في بيروتَ وضَعْ مئة خطٍ تحتَ كلمةِ أَرقى ! وفي المعرضِ تكتشفُ أَن الثيابَ الضيقةَ والتنانير فوقَ الرُّكبةِ بشبرٍ أَو أَكثر شرطٌ من شروطِ الثَّقافة الأَمر الذي يدعوكَ لأن تشكَّ بثقافةِ زوجتكَ كونَها كانتْ ترتدي جِلباباً!

كالعادةِ اشتريتُ كُتباً أَدبيةً بينَما اشترتْ زوجتِي كتاباً في فنِّ الطَّهو وآخر اسمه كتابُ (غرائب وعجائب) وقرأَتْ فيهِ أَنَّ البطريقَ يملكُ فوقَ عينيهِ

جهازاً لتحويلِ الماءِ المالحِ إلى ماءٍ حُلو وعذب ! وأنَّ ذكَر البطريقِ يكتفي طيلة حياتِه بزوجةٍ واحدةٍ وأنَّه أَبٌ حنونٌ وعطوفٌ يساعدُ أُنثاه في تربيةِ الأَولادِ ورعايتِها وهو مستعدٌ للموتِ جوعاً في سبيلِ إطعامِ عائلتِه!

وبعدَ أَن قرأَتْ زوجتِي على مسامعِي فضائلَ السَّيد بطريق نظرتْ إليَّ نظرةً وكأَنَّها تقولُ ليتَك كُنتَ بطريقاً يا حبيبي!

ابتسم أنتَ في لُبنان

هنا يسألُ شرطيٌّ رجلاً عن بطاقةِ هُويته فيعتذرُ الرَّجلُ لأَنَّه نسيها في سرواله الآخر فيردُّ عليه الشُّرطِي : فلسطيني وتملكُ سروالين!

حمدتُ ربي أَنَّ هذا الشُّرطِيَّ لا يمكنُه الوصولَ لخزانتِي وإلا لكانَ أَعدمني رمياً بالرصَاصِ!

ابتسِم أَنتَ في لُبنان

هنا تقومُ الدُّنيَا ولا تقعدْ لأَنَّ مُتنبي العَصرِ وفرزدَقها ومعرّيهَا سعيد عقل سوفَ يحضرُ إلى الجَامعة ويحاضِر في نظريتِه حول الشِّعر الحديثِ ومفادُ نظريتِه أَنَّه يدعُو إلى (لَبنَنَةِ) الشِّعرِ أَي كتابتَه باللَّهجةِ اللُّبنانيةِ !

طبعاً هذه المحاضرة كانتْ قبلَ أَن يخترعَ منتظرُ الزَّيدي طريقةَ الاحتجاجِ بالحذاءِ وإلاَّ لكنتُ خسرتُ حِذائِي !

ابتسِم أنتَ في لُبنان

في السَّنةِ الثَّانيةِ من دراستي الجامعيَّةِ كنتُ أَتحدثُ مع زميلٍ في صفّي حولَ الشّعرِ الحديثِ ولمَّا أَبديتُ إعجابِي بمحمود درويش سألَنِي زميلي ما إذا كانَ محمود درويش يشبِه في شعرهِ شِعرَ هِنري زغيبْ وللأَمانةِ كانتْ المرةَ الأُولى التي أَسمعُ فيها بأَميرِ الشُّعراءِ هنري زغيب ولمَّا قرأتُ بعضاً من قصائِدهِ بكيتُ على محمود درويش ولا أُبالغُ بأَنَّ هنري زغيب إذا نشَرَ قصائِده في السَّاخر فإنَّكم ستناشدون إدارة السَّاخر بإغلاقِ المنتدى لأَنَّ إرسالَ قصائِده إلى شَتَات ستكونُ بمثابةِ تعليقهَا في الشَّريطِ الأَصفرَ!

وفي السَّنةِ الثَّالثةِ سألتنِي إحدى بناتِ صَفِّي في قاعةِ الإمتحانِ بصوتٍ خافتٍ وكلكُم يعرفُ كيفَ يكونُ الصّوتُ في قاعةِ الإمتحانِ إذا ما قرَّرنا الإتصالَ بصديقٍ !

المهمُّ سأَلتنِي عن إعرابِ كلمةٍ فقلتُ لـهَا : مفعول مطلق.

فسألتني مفعول به . فقلت لها : لا مفعول مطلق

فقالت لي مجددا هل هو نفسه المفعول به ! فقلتُ لها لا إنَّه ابنُ عمّه !

وأَقفلتُ الخطَّ بوجههَا!

طبعاً الجهلُ بالأَشياءِ ليسَ عيباً ... وأَن يخطىءَ أَحدٌ بالاعرابِ ليسَ عيباً أَيضاً ولكنَّ العيبَ أَنْ تصلَ فتاةٌ الى السّنةِ الثَّالثةِ من دراستِهَا الجامعيَّةِ

في اختصاصِ اللُّغةِ العربيَّةِ وآدابِها دونَ أَن تلتقيَ يوماً بالمفعولِ المطلق !

ابتسِم أنتَ في لبنان

هُنا في الجامعةِ الامريكيَّةِ اللُّبنانية L .A . U في مدينةِ جُبيل وهي الجَامعةُ الأغلى قِسطاً في لُبنان يدرسُ صديقي عليّ _ الذي أَتبادلُ معه الرَّسائل _ هندسةَ الكُمبيوتَر والإتصالاتِ وهو شخصٌ مثقفٌ من الدَّرجةِ الأُولى ويتحدثُ الإنكليزيَّةِ بالطَّلاقةِ نفسِها التي تتحدثُ بها أُمي في ديوانِها الصَّباحيِّ حين تزورها جارتنا أُم العبد !

المهمُّ أَنَّ الجامعةَ فرضتْ مادةً تتحدثُ عن سلوكِ الإنسان الجنسيِّ في المجتمعِ وكانَ المحاضِر في هذه المادَّةِ قسيسٌ يحمِلُ إجازةَ دكتوراه في علم النَّفس وذاتَ محاضرةٍ كانت عن المثليَّةِ الجنسيَّةِ سأل المُحاضِر قبلَ أَن يدلي بدلوه عمَّا إذا كانَ أَحدُ الطُّلابِ لديهِ ميولٌ جنسيةٌ مثليَّةٌ فوقفتْ فتاةٌ وقالتْ أنا.

الغريبُ أَنَّ الشَّاذ الوحيد في قاعةِ الصَّف كان صديقي علي ! ليس لأَنَّه المسلمُ الوحيدُ هناكَ بل لأَنَّه الوحيدُ الذي يؤمِن أَنَّ السلوك الجنسي المثلي يعتبرُ حالةً شاذةً وخروجاً عن الفطرة التي فطرَ اللهُ عليهَا النَّاس بعكس باقي الصفِّ الذي يؤمنُ أَنَّ كلمةَ الشَّواذِ الجنسي هي كلمةٌ موغلةٌ في الهمجيَّة ولا يجوزُ إطلاقها على رغباتِ إنسانٍ مهمَا كانَ شكلُ هذه الرَّغبةِ وأَترك لكُم المساحةَ مفتوحةً لتخيّلِ ماذا يكونُ شكلُ هذه الرَّغبة!

وبعد محاضراتٍ مكثفة من هذا النوع أُصيب الرجلُّ بالاعياءِ وشعرَ بغربة شديدةٍ كالتي شعر بها المتنبي يوم ادعى النبوة وانشد قائلا :

أنا في أمَّةٍ تداركهَا الله

غريبٍ كصالحٍ في ثمودِ

ما مقامي بأرضِ نخلةٍ إلا

كمقامِ المسيحِ بينَ اليهودِ

غيرَ أَنَّ علياً أَكبرُ عقلاً من أَن يفعلَ هذا ثُمَّ إنَّ المعاناة شارفتْ على الانتهاءِ فبعدَ شهرينِ سيتخرَّجُ بتقديرِ ممتاز وسيتقدَّمُ بطلبِ عملٍ سترميه السَّفاراتِ العربيَّةِ في سلَّةِ المُهملاتِ

هنا يحدثُ هذا

وصدّق يحدثُ أَكثرُ من هذا ... ابتسِم أَنت في لبنان

تبا

تباً ، لقد اختنقتُ برائحةِ الحِبر

هذا ما يقوله دفترُ مسودَّتي حين نفترقُ آخر الليل

سُحقاً ، لم أُجففْ نفسي بعد

هكذا نلتقي صباحاً

لو كان بإمكانِ الأوراقِ البيضاءَ أن تتظاهرَ لرَفَعتْ لافتاتٍ كُتِبَ فيها :

لماذا تلوثوني بخربشاتكم ؟!

لماذا تتركونَ آثار أقدامِكم على وجهي في حين بإمكانِكم أن تعبُروني خِفافاً ؟!

تباً لكُم ، لِمَ تكتبون ؟!

أَوَلَمْ تستمعوا لأحاديثِ الرَّقابة ليلةَ أمس ؟

قالوا : إنَّ بيتَ شَاعرٍ احترقَ ، فاختنقَ المسكينُ بدُخانِ قصَائِده

وذكرُوا أنَّ أديباً غرق داخلَ دواة

وأنَّ آخر دخلَ دفتراً فتَاهَ في دِهليزِ السُّطورِ ولمْ يخرجْ بعد!

وأنَّ محكمةَ الجناياتِ برَّأتْ ضَبَّة وأهلَه من دمِ المتنبي

فقد قتلَه بيتُ شِعرٍ قاله لحظةَ غُرور

وبعد استئنافٍ قيَّدوا مقتله ضِمنَ جرائِمِ الشَّرف !

تباً ، لقد تبيَّنَ أنَّ الكُتبَ قاتلٌ محترف

فقد ضَبطوها بالجُرمِ المشْهودِ فوقَ جُثةِ الجَاحظ

وجاءَ في محضَرِ التَّحقيقِ أنَّها خنقته حتى المَوت

ومن يومِها اعتبروا أنَّ الكتابَةَ شُروعٌ في القتلِ

مسَاؤُكم موشَّحٌ بالدَّمِ أيها القتلة!!

أعرفُ أني أبيعُ مظلاتٍ في بلادٍ يهوى فيها الناسُ معانقة المَطر!

وأنَّه لن يشتريَ مني أحد

وأنَّكم ستقولونَ لي نهايةَ المَطافِ : تباً لكَ ، أَلِهذا جمعتنا!

لقد عرفتُ أني بائعٌ سيءٌ

يوم عرفتُ أنَّه ليسَ بإمكاني أن أمثِّل دورَ بائعة هَوى

جسدُها ينادي عليكَ وروحها تلعنُ شجرةَ عائلتكَ وصُولاً لجدِّكَ السَّابع

لا يمكنني أن أتصنَّعَ ألماً لا أعيشُه

ولو لأجلِ المال

والمالُ بالمناسبةِ هو ذاك الشيءُ التافهُ الذي لا يعنيني

ولكنِّي أحتاجُه لشراءِ دفترٍ يلعنُني حينَ أكتب عليه!!

أعرفُ أنّي أحتاجُ إلى أكثر من كلماتٍ

لإقناعكُم بهذه الترهات التي لم أَقتنعْ بها بعد

فلن تكفوا عن الكتابة

لسببٍ وحيدٍ ، لأنكم مثلي تماماً ... حمقى

لأنَّ الكتابة هي الشيءُ الوحيدُ الذي تجيدونَه

لأنَّكم تفضلون رائحةَ الحبرِ على رائحةِ البخور

لأنَّكم تؤمنون أنَّ الكتابةَ هي حِصانُ طِروادة الذي تحتاجونَه لاقتحام ذواتِكم

لأَنَّها كل ما تبقَّى لكُم في زمنٍ لم يتبقَّ لكم فيه شَيء

لأنَّكم تؤمنون أنَّ بالكتابةِ يمكنكُم التآمرُ على الوقت

ولأنَّها وسيلتكُم الوحيدة لمعانقةِ أرواحِكم

تباً لعواصم الثقافةِ التي تركل مثقفيها على مؤخراتهم!

وتفتحُ ذراعيها عميقاً لأهلِ الطرب

تباً لوزاراتِ الثقافةِ التي تُعاني من أنيميا الثقافة

متى ستخرجُ علينا قائلةً:

خُذ بئر نفطٍ وأعطني مقالاً حُراً تعرفُ به الرَّعيةُ رأسَها من رجليها

وبئراً آخر إن عرفوا كيف تُورِد الإبلُ ومن أينَ تُؤكل الكتفُ

سجَّل التاريخُ أنَّ أقلاماً كثيرة غيَّرت مسارات جيوشٍ كثيرة

ولكنه لم يسجِّل أن جيشاً استطاع أن يغيّر مسار قلم حر واحد!

تباً لي ، مضى عام كاملٌ على وجودي هنا

عامٌ واحد فقط

لماذا أشعر أني طاعنٌ في السنِّ اذا ؟!

وأني أعرفكم جميعاً ، وأنَّ حروفكم فشلت فشلاً ذريعاً

في حجب وجوهكم عني!

طيلةَ عامِ وانا أكتشف يومياً أنَّ الكلمة كالرصاصة

لا يمكنُ استعادتها متى غادرت فوَّهة البندقيَّة

تباً لكم ، كيف احتملتموني طيلةً عامٍ دونَ أنْ ينفذَ صبرُكم

لماذا لم تزجروني ؟

لماذا لم تركلوني بغضبٍ قائلينget out :

.

كتابات مسمارية

.

.

.

قالَ الشَّيخُ الذي فقدَ يدَه اليُمنى بقنبلةٍ ذكيةٍ

لحفيدِه الذي فقدَ سَاقيه بقنبلةٍ أذكى:

حمداً لله الذي أنجَانا من صَواريخَ " توما هوك " الغبيَّة!

.

.

صمتَ بمقدارِ ما يلزمُ الرَّاوي ليخنقَ دمعة ثم أردفَ قائلاً:

يا بُنيّ : كُنْ يديَ لأنتشلَ ما تبقّى مني تحتَ الأنقاض

يدٌ واحدةٌ لا تُصفِّقُ لكلِّ هذا الخراب

وسأكونُ عصاكَ...

هُشَّ بها على المسافةِ تأتيكَ كَرهاً

لمآربَ أخرى لم يعدْ هُنا ما يكفي من نخيلٍ لتطويعِ المسافات

وسيكتبُ التاريخُ بخزيٍّ أن عصاً بأرضِ العراقِ عجزتْ أنْ تكونَ عُكازاً لصبيٍّ

وستكتبُ العِصيُّ بمرارةٍ أنّه كان يلزمها ساقٌ واحدةٌ على الأقلِّ لتصيرَ عكاكيز !

.

.

.

جارٌ لـهُما لم يبقَ له أحفادٌ ليسَامرهم

كفّتْ بلادُ سُومرَ عن مُمارسةِ السّمر

ولكن المذيعة على قناةِ العربيَّةِ قالتْ ذاكَ المسَاءِ وهي تسَامِرُه:

لقد جاؤوا بحثاً عن أسلحةِ دمارٍ شامل

هذا هو الدمارُ الشاملُ بقيَ أن يعثروا على الأسلحةِ وينصرفوا!

.

.

.

يومَ كانَ للصَّغيرِ كتبٌ وكراريسٌ

نقشُوا في بطونِـها : إنَّ العلمَ نورٌ

لـهذا يزحفُ الصبيُّ كل ليلةٍ إلى الغرفةِ التي شهدتْ مصرعَ أهله

ويتعجبُ كيفَ أن شهادة الدكتوراه المصْلوبةِ على الجدارِ لا تضِيء!

.

.

السَّابعةُ إلا خِزي ...

مرَّتْ عربةُ " الـهامرز " يقودُها عبدٌ حبشيٌّ على رأسِه نصفُ بطيخةٍ

كانَ قدْ جاءَ منذ أعوامٍ إلى بلادِ الأحلام

وفي بلادِ الأحلامِ التي لا تُسَاوي بين العبيدِ

أحدُهُم صَارَ رئيسَ دولةٍ

والآخر يتسلَّى بتحويلِ أحلامِ الناسِ إلى كوابيس!

.

.

.

على عتبةِ ما تبقَّى من الدَّارِ كانا يسترقانِ النظرَ إلى المَّارةِ

صَادفَ أنَّ المارَّةَ يجيدونَ إستراقَ النظرِ أيضاً

سَألَ الطفلُ أمه وهو يرقبُ نصفَ الولدِ على العتبةِ:

هل تأخذُ السِّيقانُ وقتاً طويلاً لتنمو من جديد ؟!

قالتْ الأمُّ : السِّيقانُ ليستْ كأسنانِ الحليب

وحين ربتَ الشيخُ على كتفِ حفيدِه

صاحَ الطفلُ : إنَّه يربِتُ بيدِهِ اليُسْرى ، أليسَ الشَّيطانُ أشول يا أماه ؟!

.

.

.

في بيتٍ مجاورٍ كانَ التوأمانِ يدرُسَان في كتابِ جُغرافيا واحد

اللذان يتسِعُ لهما بطنٌ لا يضيقُ عليهما كتاب!

وكان الكتابُ يقولُ : إنَّ في العراقِ مليونَ نخلة

وأبوهُمَا يقول لأمهما : أخشى أن لا نستطيعَ شراءَ التَّمرِ في رمضان!

فقالت له : إنَّ الماء طهور!

عندها انتبه وسألها : هل علّمتِ البنتَ كيف يتيممُ الناسُ للصلاة!

.

.

.

على ذاتِ العتبةِ كانا يجلسَانِ حينَ عاد " الهامرز " ليتفقد أحوالَ الرعيَّة!

هزّ العبدُ الحبشيُّ رأسَه ورَطنَ ما مفادُه:

سيدي كلُّ شيءٍ بخيرٍ

نصفُ الولدِ موجودٌ!

ويدُ جدِّه اليُسرى موجودة أيضاً

تبسّم الضابطُ وقال : إنه لَـ ! well done

.

.

.

أزواج وزوجات تحت الطلب

. . .
. .
.
سُئِلتْ أغاثا كريستي : لماذا تزوجتِ بعالم آثار ؟
فقالت : لأني كلما كبرت ازددتُ قيمة عنده!

مسكينة هذه أل " أغاثا " يوماً ما ستكتشف أن مقولتها هذه كانتْ أشد رعباً من كل رواياتها!

تلك المرأة التي تهتم بالتفاصيل الصغيرة فتنقلك من رواية رعب إلى فيلم رعب ببراعة ، لدرجة أنك حين تفرغ من القراءة ستفكر جدياً بخلع ملابسك ، وإحراقها ، خوفاً من أن تكون الضحية قد تركت عليها بقعة دم ، فيتهموك بإرتكاب جريمة قتل اكتفيت بمشاهدتها وأنت تقضِمُ أظافرك!

كيف لتلك المرأة أن تنسى أن الأشياء القيمة ليس بالضرورة أن تكون طاعنة في السن ، حتى عند علماء الآثار أنفسهم!
وأن نظام البيوت يختلفُ كثيراً عن نظام المتاحف !

قال كارلوس آلبيرتو باريرا ، مدري أنا الذي قلت ونسيتُ أني فعلتْ:

التفاؤل شيء جيد من شأنه أن يجعل السقوط من أعلى أكثر إيلاماً! السقوط وقتذاك لن يكون مجرد ارتطام فحسب ، بل لا بد من ذكر رائحة الخيبة المنبعثة من ثياب المفجوعين بأحلام هَوَتْ ، كبيوتِ الرمل التي يصنعها الأطفال بمحاذاة الشاطىء ،

لفرط براءتهم ظنوا أن البحر دوماً بمزاجٍ واحد !

الزواج يحتاج إلى رجل وامرأة!
هذه الجملة من البداهة بمكان لتكون تافهة جداً لو قِيلتْ في أحد الأزمنة الغابرة ،
تخيل أن تقول لأبي لهب وهو يتوسط الشباب في دار الندوة : إن الرجل عليه أن يتزوج امراة ، إنه بلا شك سيتناول هُبل من جانبه ويصفعك بها !

أو أن تقولها لحامورابي ، فسيكسر الألواح المسمارية على أم رأسك ،

ولكن في زمن مايكل جاكسون وأطفاله (من باب اذكروا لواط موتاكم (،
و سمو الأمير وخادمه ،
وتسيبي ليفني وكوندي القبيحة ،
ومارتينا هينغس ومدربتها ،

هذا الزمن الذي نال فيه الإنسان من إنسانيته بطريقة مفرطة في الحيوانية ، والحيوانية تعبير لا أعرف إلى أي مدى يخدم السياق الذي نحن فيه ، فلم أشاهد حماراً يحمل لافتة مكتوب عليها دونت تراست أني (آتان) بصراحة لا اعرف ما منعى أنثى الحمار بالانكليزي . (
ولم أقرأ أن مجموعة ذكور من الحمير تظاهرت في وضح النهار لشرعنة عقود زواجها من حمير ذكور أخرى ،
ولا مجموعة من نوقٍ عفَّرنَ رمال الصحراء لقوننة زواجهن من نوقٍ أخريات !

البشر وحدهم يفعلون هذا ،
في هذا الزمن لا بد من التنويه عن أي زواجٍ نتحدث منعاً لاختلاط المصطلحات ، وتداخل المفاهيم .

الزواج يحتاج إلى رجلٍ وامراة.

الرجل يمرُ بشجرة كانتْ امرأة قد شنقت نفسها على أحد أغصانها ، فقال : ليت الشجر كله يحمل ثماراً كهذه!

والمرأة / الروميكية زوجة الرجل / المعتمد بن عباد أمير إشبيلية تشتهي أن تمشيَ في الطين بعد أن رأت النسوة يفعلن ، فأخبرها أن هذا لا يليق بها / به ، ولما أصرّت ، أحضر أكواماً من الحناء ، وعجنها بالمسك ، حتى صارت كالطين ،
وقال لها : الآن امشِ
ثم خاصمته بعد مدة وقالت له : لم أرَ منك خيراً قط
فقال لها : ولا يوم الطين!

والرجل يقول لامراته : إذا مِتُّ فتزوجني من جارنا ، اللعين كان قد باعني بقرة وغشني بها وأريد أن أنتقم منه!

والمرأة تتضجر من زوجها لأنه لم يعد يحملها كما كان يفعل طيلة أربعين عاماً ، يبدو لها أنه لم يعد يحبها ، ويبدو لبقية البشر أن عصاه هي التي تحمله!

ما علاقة كل هذا بزوجٍ تحت الطلب ؟!
أوووه
نسيت أن أخبركم أني اشتريتُ دشاً مدري دشّ عتبكم على اللي يعرف رقم حذاء سيبويه يطلع كم!

والدش _ للأجيال القادمة طبعاً _ أشبه بصحن الطعام ، الجميل أن أطباق الطعام تحافظ على ثبات نسبي منذ فجر التاريخ خلافاً للأشياء الأخرى التي تتغير بشكل مجنون.

الدش بالنسبة لأمي صحبة خير مع محمد حسان ، ومحمود المصري ، وسُكّرٌ حلال بصوت ماهر المعيقلي!
وبالنسبة لأبي مناوشات مجانية مع المفتن فيصل القاسم وضيفيه
وبالنسبة لأختي التي ستتزوح بعد شهر مطبخ مفتوح مع فتافيت ، جميل أن تدرك إحدى نساء عائلتنا الكريمة أن أقصر طريق إلى قلب الرجل هو عبر معدته!
وبالنسبة لأخي استمتاع بأداء كريستيانو رونالدو ، وأجمل لحظات المباراة عنده حين تجوب الكاميرا وجوه الجماهير ، فيقول لي : هذي نسوان يا أخي!
وبالنسبة لي : أنا من دفعت ثمنه بينما استولوا هم عليه!
عموماً النظام في بيتنا يشبه نظام القبيلة قديماً : الكل للواحد والواحد للكل . واتمنى من كل قلبي أن لا ينسوا قانون القبيلة حين أغيّر جهازي الذي بدأ يخرف ، فأنا في النهاية أحد أفراد القبيلة ، ولست فرداً عادياً ، أنا من بدد جمعيته في سبيل اسعادهم!

طبعاً قبل الدش لم نكن منقطعين عن العالم ، بل كنا نتصل به عن طريق اشتراك من عند رجل يشبه إلى حد بعيد " جيم كيري " في فيلم " ذا كابل جاي " وكنا نشاهد قنوات على مزاجه.

أخبرتني أمي مرة أنه أوقف قناة المجد للحديث ، فاتصلت به مستفسراً عن السبب ، فقال لي : هناك قناة الناس (هذا قبل أن تنتقل إلى ذمة الله) ، وقناة المجد للقرآن (ونسي ان يقول الكريم) ، هذا يكفي يا أخي
ويا أخي خرجت منه بطريقة : خنقتني انت وأمك ، حلوا عني!

غريب كيف ان قنوات " روتانا " كلها لا تكفي حتى شدّ عضدها بقناة غنوة!
وكيف أن باقة " الموفي تشانيل " لا تكفي حتى وضع قناة تعرض أفلاما باللغة الفرنسية لمشتركين لا يعرفون من الفرنسية اكثر من " بونجور! "
أنا أفهم بسهولة أن هذا ما يريده الجمهور
ولكن أمي تجد صعوبة في فهم كيف تكون باقة الجزيرة الرياضية مدعومة بال " HD " أهم من قناة المجد للحديث

حيث تعيشون يوجد قانون يمنع عمل " ذا كابل جاي " ولكن حيث أعيش أنا فكل شيء يسير على رأسه!
عيادة الأنروا تقدم خدماتٍ طبية مجانية ، تخيلوا هذه الرفاهية
ولأننا قوم عندنا حساسية من الرفاهية ، ينفذ الدواء في الأسبوع الأول من الشهر ، وحده الباندول متوفر بشكل مجنون ،
بعد الأسبوع الأول تدخل على الطبيب وتناوله بطاقتك الصحية ، فيكتب

عليها بنادول ثم يرفع رأسه إليك و يسألك: مم تشكو ؟!
فكرة أن يسألك شخصٌ : ما بك ؟ وهو ينظر إليك باهتمام كفيل لأن يشعرك بالراحة ،
خصوصا إن كان هذا الشخص صديقي!
كان منذ أيامٍ يخبرني أن ثلاث عجائز يحضرن إلى العيادة منذ خمس سنوات ويدخلن عليه بشكل يومي ليذكرن نفس العوارض ويأخذن البانادول ويمضين في حال سبيلهن.

وبحكم أنهن أكبر سناً من والدته ، يلاطفهن ، ويستمع إليهن ، فينسيهن ذلك أحيانا أنه الطبيب وأنهن حضرن ليتعالجن فيقصصن أخبارهن مع أزواجهن ، ونساء أبنائهن ، وأبناء أبنائهن ، ينسَيْنَ كل شيء إلا حبات البانادول الثمانية فهي فرض عين لا تسقط عن عجوز إن أخذتها أخرى!

وحدث مرة أن حضر الطبيب متاخراً ، فرأى اثنتين منهن فسألهن عن الثالثة ، فقالتا بصوت واحد : مسكينة مريضة!
طوال خمس سنوات لم تكن مسكينة ولم تكن مريضة.

بعد هذا الإستطراد الجاحظي ، والإستطراد مصطلح أدبي يبرر فيه الكاتب لفّه ودورانه ، ويوهم القارىء بأنه لم يفقد الفكرة التي أراد أن يتكلم عنها ، على اعتبار أنه كان هناك فكرة أساساً!

كنتُ منذ أيامٍ أجوب غمار الدش ،
استوقفني شريط إحدى المحطات ،
ليس الغريب وجود الشريط فأنا مثلكم تماماً أرى أن الغريب هو أن لا

يكون هناك شريط أصلاً

لقد اعتدنا على وجود شريط يلف بنا

الغريب بالطبع هو محتوى الشريط

الرومانسي الخارق ، كتب جملة يقول فيها:

Hi dado , may I have your msn , im a hot male

تضحك دادو ملء قلبها

مشكلتنا بالضبط تكمن في أن الواحد منا خالي الوفاض تماماً وليس لديه ما يفخرُ به سوى أنه" hot male "

بالمناسبة الثور هو hot male أيضاً!

الفكرة تكمن في كيفية أن نكونhot mind

وقادرين على صنع أشيائنا بأنفسنا والإستغناء عن الهوت دوغ المستخرج من بقر مصعوق بالكهرباء!

قرأت مرة عن مجموعة من الطيور لديها من أدب التزاوج ما يحار به العقل ،

إذا أعجب الذكر بالأنثى فإنه يحضر حبة قمحٍ ويضعها أمامها ثم يبتعد ، فإن أكلتها فهذا يعني أنها رضيت به ، وإن تركتها بحالها فإنه يعرف أنه ليس محل رغبة وبالتالي فإنه لا يقربها ولو فنيت كل بنات جنسها ولم يبقَ غيرها عصفورة على وجه الأرض

والإناث لا يخطبن الذكور أبداً

ومن باب أولى فإنهن لا يضحكن hahaha على طريقةdado

يكمل الشريط لفته

أميرة دجلة : جميلة جداً ، ومثقفة جداً ، وجادة جداً ، تبحث عن رجل جاد جداً ، لا يزيد عمره عن ٤٥ سنة لأنها في السابعة والثلاثين جداً

أيضا!

فعلاً شيء غريبٌ جداً

ما الذي يؤخر زواج امرأة كل ما فيها جيد جداً

تباً لنا كيف نتعثرُ دوما باللواتي لسنَ جيداتٍ جداً ، ونترك الجيدات جداً يندبن حظوظهن على قناة تعارف وأخواتها!

ذكرتني أميرة دجلة بالمرأة التي أخبرت زوجها الأعمى بأنها تتمنى أن يبصر ولو دقيقة في حياته ليرى حسنها ودلالها

فقال لها : لو كان ما تقولين حقاً ، ما تركك المبصرون لي

منطقي جداً!

رومانسي الجليل : فلسطيني مقيم في الأردن ، يرغب بزوجة ثانية شرط أن تكون رومانسية و لديها مسكن!

جدتي لديها مسكن ولا مشكلة عندها أن تكون زوجة ثانية

وهي رومانسية جداً فقد كانت كلما حلق جدي ذقنه تقول له نعيماً يا حج !

وهي دوماً تضيء الشموع كل ليلة وإلا سنرتطم ببعض من شدة الظلمة ، مسكين جدي مات قبل أن يجرب متعة أن تتوفر الكهرباء ١٢ ساعة باليوم!

للأمانة فكرة زوجة ثانية جاهزة / بمسكن فكرة تروق لنا معشر الرجال ولكن تبقى هناك معضلة النفقة!

بالله عليكم اللي يعثر لي على زوجة بمسكن ومستعدة أن تنفق على

نفسها وعليّ ان احبت يكسب فيّ ثواب
شرط أن لا تكون جدته الرومانسية جداً!

هيفاء الجزيرة : مطلقة ولكن ليس جداً ، مرة واحدة فقط!
في الثالثة والثلاثين ، حسناء ، ترغب بزوج متوسط الحال ، متدين ،
يقدس الحياة الزوجية وليس لديه زوجة أولى لأنها تغار جداً!

تخيل عزيزي الذي تقول في هذه اللحظة بأني مجنون جداً ، أنكَ في الخامسة والثلاثين وما زلت أعزبا جداً وبجلسة صفاءٍ – مع والدتك وليس مع صفاء أبو السعود – وتباغت أمك أنك ترغب في أن تتزوج من مطلقة!
الزواج من مطلقة أشنع خبر يمكن أن يزفه أعزب لأمه
كم كانت أمك ستسعد بك لو أخبرتها أنك ستتزوج من امرأة من نساء بني الأصفر متحضرة جداً ، وجميلة جداً ، وقدمت في بلادها خدمات جلية جداً لرجال أقطع يدي إن كانت اليوم تذكرهم جميعاً ،
لماذا أغير الموضوع دوماً
مشكلتنا ليست فيما تذكره أو تنساه المرأة ، مشكلتنا هل هي مطلقة ؟!
فنياً لأ ، ليست مطلقة ولو عبرت ألف سرير!
لكي تكون مطلقة يجب أن تتزوج أولاً
المطلقة بحسب قيمنا مخلوق شرير عاقبه الله تعالى لأنه كان ناشزاً!
أما المطلق مخلوق طيب منَّ الله عليه بالخلاص من تلك الناشز ، ولو كان ثمن الخلاص أن يُرجع رجلٌ لرجلٍ ابنته وكأنها بضاعة كاسدة غشه بها ليعيد تربيتها من جديد!

فكرة أن يعرض الرجل نفسه على أنه فحل آخر الزمان

وأن تعرض المرأة نفسها كبقية التحف المنزلية القابلة للإقتناء تشعرني بالغثيان

تباً لي ، إني ثرثار جداً

حديث الجدران

.

.

.

الكتابةُ لكَ وعنكَ لنْ تستقيمَ بلا دُخانٍ يتصَاعدُ مِني

دُخاني يمْلؤنِي ريبةً ، ولأنَّه من سَاوَاكَ بنفسِه ما ظلمَكَ ، فلنْ أنكرَ عليكَ

مُمَارسَةَ ارتيابِكَ مِنّي!

قدِيماً قالُوا _ ونحنُ على قولِهِم يا أبي _ : لا دُخانَ بلا نارٍ

مَلؤُوا رئةَ النّارِ بحَطبٍ بلغَ الحلقَ ، وحينَ أرادتْ أن تتنفسَ تصَاعدَ منهَا

دُخانٌ ، فتسلّح الليلة بريبتِكَ فقد اسْتلزمَنِي وقتٌ طَويلٌ لأشتعلَ بكَ!

قلبِي على ولدِي وقلبُ ولدِي على حجَرٍ

لكثرةِ ما سَمعتُها منكَ على عتبةِ الدَّارِ بعدَ منتصَفِ الليلِ آمنتُ أنَّ صَدري

مقلعَ حِجَارة

حتى الحِجَارةُ تهبِطُ من خشْيةِ اللهِ يا أبي ولكنَّ قلبَ ابنكَ مُسَمَّرٌ مكانَه...

لقدْ تشققَ كثيراً وما خرجَ منه الماءُ ، بي عطشٌ إليكَ الليلة فانثرْ ماءكَ

فلمْ يعُدْ التيممُ بكَ مغرياً كمَا ذِي قبل ، وضِمّنِي بحنانِكَ ، ضَعْ يدكَ على

مقلعَ الحِجَارةِ رُبَّمَا تفجَّرت الأنهارُ يا أبي ، رُبَّمَا!

تُؤنبني دوْماً : امشِ جنبَ الحيطِ وقلْ يا ربِّ السّتر

مُشْكِلتي معكَ / مُشْكِلتُكَ مَعِيَ أنَّ المَشْيَ قربَ الجُدرانِ يُصيبُنِي بالإختناق

!

ثقافةُ الجُدران لا تستهوِيني...

مُذ كنتُ صَغيراً وأنا أحبُّ أن أمشِيَ في وسَطِ الطريقِ يا أبي ، أن أصرخَ ملء حنجرتي ها أنا ، السائرونَ قربَ الجدرانِ يصْلحُون لأي استخدامٍ وأنا لا أصلحُ إلا أن أكونَ إنساناً!

ما أوصَلنَا إلى هُنا إلا ثقتنا المُفرطة بالجُدران!

أحدٌ ما أوهمَنا أنَّ المشيَ جنبَ الجدارِ سِترٌ وما عداه فضِيحَة ، ولِخوفِنا من الفضَائحِ ارتدينا الجُدران كالقمصَانِ وسِرْنا بها ، يُؤسِفنِي أن أخبرك أننا مُذْ زهِدْنا في الفضِيحةِ خسِرْنا السّتر!

أما زلتَ تثقُ بالجُدرانِ يا أبي بعدَ أنْ فشِلتْ في دَرْءِ الرَّصَاصَة عن كتفِكَ ! الرَّصَاصَةُ الطائشَةُ قالتْ عني كل ما أردتُ أن أقولَه لكَ على مَدَى عُمْرٍ : حتى جنبَ الجُدْرَانِ هُناكَ متَّسَعٌ للمَوت!

لم يكنْ لكَ في كلِّ ما حدثَ لا ناقةٌ ولا جَمَلٌ ، خرَجْتَ مُصْلِحاً في طوشَةَ عربٍ ، والعربُ لا يتطاوشُون إلا على تافهٍ ، ألستَ من أخبرني وأنا ابن السَّادسةِ أن أجدادنا أفنوا بعضَهُم لأن الواقفَ على خطِّ الوُصُولِ أخفقَ في البتِّ ما إذا كانَ الوُصُول أولاً لداحِسٍ أمْ للغبراءِ.

أغبياءُ أجدادُنا يا أبي ونحنُ على خطاهُم ، فقد سَحَبْنا السُّفراءَ لأنَّ داحساً تأهلتْ لكأسِ العالمِ على حِسَابِ الغبراء ، خرجتْ داحسُ من الدَّورِ الأولِ وما زالَ السَّفيرُ الإسرائيليُّ يرتعُ في مضَاربِ الغبراء!

ما زلنا قبائلَ يا أبي لم يتغيرْ شيءٌ ، عبَّادُ الأصنامِ ذهبوا بالفضْلِ وأسَّسُوا حِلْفَ الفُضُولِ ، وعُبَّادُ الإلهِ الواحِدِ اكتفُوا بالجامعَةِ العربيَّة!

دَعْكَ من ذا كله فليسَ مربطُ الفرسِ في هذا الإسْطَبلِ هذه الليلة!

أتذكُرُ يوم خاطبتني مُرشِداً : يا بنيَّ إذا أردتَ أنْ تحْكُمَ بين بخيلينِ فلا بدَّ أن تعرفَ أنَّ طريقَ الصُّلحِ بينهُمَا لا بدَّ أن يمرَّ في جيبِكَ ، وإذا حكمتَ بينَ بخيلٍ وكريمٍ فخذ من حصةِ الكَريمِ للبخيلِ...

سألتُكَ وقتَها بسَذاجَةِ الأطفالِ : وإذا حكَمْتُ بينَ كريمينِ يا أبي ؟

قلتَ لي وأنتَ تبتَسِمُ ابتسَامَةَ الكِبارِ : كريمَان لا يحتَاجَانِ لحَكَمٍ!

كانَ على الرَّصَاصَةِ أن تثقبَ كتفَكَ ليتصَافحَ البُخلاءُ ومرَّ طريقُ الصُلْحِ في دَمِكَ لا في جيبِكَ !

كانَ الرّصاصُ كالمطرِ فلَمَ خرجتَ بلا مِظلةٍ يا أبي ؟!

وخرجتُ أنا في إثرِكَ بلا مظلةٍ أيضاً ، وعلى مرمى ذراعٍ من قلبي وقعتَ ، غطيتُكَ بي ! وكأنكَ ابني وأنا أبُوك ، وقربَ الجدار استمعتُ لحكايا دمكَ فيما كانوا يقصُّونَ حكايةً أخرى...

كنتُ أتشبثُ بكَ كطودِ نجاةٍ ،

يا من جئتَ بي إلى هذه الدنيا لا تمُتْ ، اشربْ البحرَ ولا تغرق ، خذ من عمري وابقَ...

من سيشذبُ النخيلَ في عيني أمي من بعدِكَ

من يكملُ الختمةَ التي بدأتَ بها

من يهدىء حجارة مسبحتكَ

من يُدخِّنُ السَّجائرَ المتبقية

من يَسقي الياسمينة في باحةِ الدَّارِ

من يصحبنا سُكارى لصلاة الفجر

من يدلُّ فاطمة على النقطَةِ / القبعَةِ الفاصِلةِ بين الصَّادِ والضَّاد

من يمسحُ على رأسِ الصَّغيرِ الذي لم يُسَمِّهِ ابنكَ العاقّ باسمِكَ

على من نتكىءُ حين نتعبُ يا أبي

قُمْ ودخّن بشراهةٍ وانفثْ دُخانَ لفافتكَ في وجهِي واشتُمْ هذا الزمنَ العربيَّ الرديء كما يحلُو لكَ

اشتم ريمَا وعهر صِناعةِ الموت ورقصَ بوش بالسيف في أرضِ الصَّحابة

وجدارُ الخزي وخطابُ أوباما

وقتالُ الإخوةِ على ما لا يكفي ليكونَ وطناً ، وما قال أحدٌ لأحدٍ " لئن بسطتَ إليَّ يدك" ...

تغزّل ببني الأفغان الذي صَاروا طالبان وبقينا نحنُ عرَباً

أحثُ الترابَ في وجهِي وأخبرني أنَّ باسايف كانَ بقدمٍ واحدةٍ وياسين على كرسيٍّ ونحنُ مع الخوالف!

اسخر مني ، خربش يا بني لم يبقَ من " عطا " ما يكفي ليكونَ له قبر

قُل قولتكَ المشهورة : جُنَّ النفطُ وما رخِصَ الخبزُ!

السلامُ عليكَ يا أبي ، على الرصاصة التي انتزعوها منك / مني

السَّلام عليكَ ها أنتَ تتعافى وأنا مريضٌ بك!

عن إيتو وسيبويه ومايا كوفسكي وليلى والذئب

"أرقى السُّخرياتِ هي السُّخريةُ على الذات...وطَمعاً في الرُّقي أكتب".

في الحقيقةِ لا أَعرفُ من القائِل ولكنْ منَ المؤكَّد لديَّ أنَّه ليسَ صَموئيل إيتو فإنَّ إيتو أدَّى الذي عليهِ!

حينَ كنتُ في الجامعةِ طلبَ مِنَّا مدرّس مادة الأَدب الجاهلَّي إعدادَ بحثٍ, وكان الرَّجلُ متشدداً في نَسْبِ الشَّواهدِ والاقتباسَاتِ إلى أَصحابِها وبالفعلِ فقد صرفتُ وقتاً طويلاً في نسبِ كلِّ قولِ لصاحبِه اللهمَّ إلا مقولةً واحدةً لم أعثر لها على قائِل فنسبتها إلى المستشرقِ صموئيل إيتو!

والذي شجَّعني على هذه الحمَاقة أنَّ مدرِّسنا أخبرنَا أنَّه يكرهُ كرةَ القدمِ فقلتُ في نفسِي : (تمشي عليه)

ولكنْ لكي تصبحَ الفضيحةُ بجلاجلٍ أُعجِبَ مدرِّسنَا بالبحثِ وأشادَ به فطلبَ زملائِي تصويرَه وتحوَّل إيتو من لاعبٍ في برشلونَة إلى مستشرقٍ يكتبُ في عواملِ نشوءِ اللَّهجاتِ القديمةِ ويُفاضِلُ بينَ لهجتَي قريشٍ وتميم .

كنتُ متأكداً بأنَّ تصرُّفِي لم يكنْ أخلاقياً وتذكَّرتُ كيفَ ماتَ سِيبويه كمداً بعدَ مُناظرةِ العقربِ الشَّهيرةِ فقرَّرتُ أن أُصلحَ الأمر.

استجمعتُ جُزءاً من شجَاعتِي وأخبرتُ زملائِي وخبَّأتُ ما تبقَّى مِنهَا لحينِ مقابلةِ مدرِّسنا فشرحتُ له الأمر فنظرَ إليَّ نظرةً لم أفهم معنَاها إلا حينَ

صدرت نتائـجُ الامتحاناتِ وكانَ قد خسَفني.

في السَّنةِ الرابعةِ كان نفسُ المحاضِر يحاضِرُ فينا حولَ الأدبِ المقارنِ فطلبتُ الإذنَ بالكلامِ فأشارَ إليَّ لأتكلمَ فقلتُ : إذا نظرنَا إلى أدبِ مايا كوفسكي ... وقبلَ أن أُكملَ قاطعنِي وعلى ثغرِه ابتسامةُ تشَفٍ وانتقامٍ وقال لي : من هذا أهوَ لاعبٌ في برشلونة أيضاً ؟!!

ليستْ هذهِ هي المرَّةَ الأولى التي تكونُ فيها نيَّتي حسَنةٌ ثم تسوءُ الأُمور

أرسلتُ رسالةً إلى صديقٍ لي عبرَ الهوتميل أُخبره فيها عن مضَارِ البيبسي كُولا فأرسلَ إليَّ بريداً صَاخِباً سأنقُله على ذمَّة الهُوتميل!

وبالمناسَبةِ فإنَّ الهوتميل بحسبِ تصنيفِ مصطَلحِ الحديث مدلّسٌ ومتروكٌ , الحديثِ وبحسبِ تصنيفِ جدَّتي للذممِ فإنَّ ذمتَه أَوسعُ مِن شِروالِ أبيهَا طيَّب الله ثراهَا وثراه.

المُهم أنَّ الرَّجلَ كانَ يغلِي وكانتْ رسَالتي بمثابَةِ الإبرةِ التي ثقبَتهُ فأَرسلَ حِممَهُ إليَّ يقول :

توقفتُ عن شرب الكولا بعد أَن عرفتُ أنَّه قادر على إزالةِ بقع الحمامات

لم أَعد أَذهب إلى السينما بسببِ خوفي من أَن أَجلسَ على كرسي فيه دبوس يحتوي على فايروس الإيدز

قمتُ بإعادةِ إرسال الافِ الإيميلاتِ طمعاً في أن أَدخل الجنَّة لأني إنْ لمْ أُرسلها سوفَ أَدخل النَّار

رائِحتي صارت تشبِه رائحةَ الكلبِ الميِّتِ بعد أَن عرفتُ أَنَّ مزيلاتِ العرقِ تسببُ السَّرطان

لم أَعدْ أركنُ سيارتي في الكراجاتِ وصرت أَضطر إلى أَن أَمشي مسافاتٍ طويلةٍ خوفاً من أَن يأتي شخصٌ ويرشني بالمخدرِ ويقومُ بسرقتي

توقفتُ عن الإجابةِ على الهاتفِ خوفاً من أن يأتي في فاتورتي مكالماتٍ من نيجيريا أو أُوغندا أو باكستان

توقفتُ عن شربِ أي شيءٍ بعلبةٍ مقفلةٍ خوفاً من أَن تحتوي على بول أو فضلاتِ الفئران

عندمَا أَحضُر حفلةً توقفتُ عن النَّظرإلى أي بنتٍ جميلةٍ خوفاً من أن تستدرجني إلى بيتِها و تقوم بتخديري ثم تأخذُ كليتي و كبدي وتتركني نائماً في حوضِ الإستحمامِ محاطاً بالثلجِ

حتى أَني صرفتُ كلَّ مدَّخراتي إلى حسابِالطفلةِ " سعاد الغامدي "و هي طفلةٌ مريضةٌ بالسَّرطانِ أَوشَكتأَن تموتَ أَكثرَ من 7000مرَّة .. مسكينةٌ ما

زالَ عمرها ٧ سنين منذُ عام ١٩٩٣

و أُريدُ أَن أُعلنَ أَنّي ما زلتُ على استعدادٍ أَن أُساعِدَ أَي شخصٍ من نيجريا يريدُ أَن يستخدمَحسابي لتحويلِ أَملاكِ عمِّه أو خالِه المتوفي و التي تزيدُ عن ١٠٠ مليون دولار

قمتُ بإرسالِ ٣٥ إيميل لـ ٤٠٠ شخص حتى لا آتي يومَ القيامةِ وأقول ياليتني أَرسلتُها قبلَ أن أَموت

قمتُ بطلبِ مئاتِ الأماني قبلَ أَن أقومَ بإعادةِ إرسالِ بعضِ الكلماتِ و الصُّور المقدَّسة .. لكن ما زلتُعلى نفسِمكتبي وأتقاضىنفس الرَّاتب و لم يتغيرشيء

قمتُ بإرسالِ مليونِ نسخةٍ لمليونِ من أَصحَابي حتى لا يتوقفَ حسَابِيمع شركةِ هوتميل

رميتُ جميعَ العُلبِ والصُّحونِ والملاعقِ البلاستِكيةِ لأَنَّها تسبِّبُ سَرطانًامما جعل زوجتي تتهمني بالجنونِ وتطلبَالطَّلاق

توقفتُ عن شربِ أي نوعٍ من القهوةِ لأن شركاتِ القهوة تساعدُ إسرائيل وتوقفتُ عن أكلِالشوكلاته والعلك لأنها كلها معجونه بدهنِالخنزير وبعتُ التلفزيونَ والثلاجة والغسَّالة والكمبيوتر و ساعتي و كل الأجهزة الأمريكية لأن الأمريكان كلاب يسَاعِدون إسرائيل

وأخيراً ختم رسالتَه ... ملاحظة أدهم : إن لم ترسلْ هذا الإيمل إلى ١١٤٦٥ شخص خلال ٣ ثواني فإنَّ فانوساً سِحرياً سيحضِرك إليَّ وسيجعلكَ تقبّل .... وسمى تلكَ القطعةَ من جسده التي يستخدمُها حينَ يجلِسُ على كرسِي

إذاً اتفقنَا على أنَّ الأُمور دائِماً ما تبدأ بخيرٍ ثمَّ تسُوء

منذُ أيَامٍ كنتُ أَسهرُ بصحبةِ أَبي وأُمي ... طويلُ اللّسانِ الذي هو أَنا طبعاً سأل كيفَ كانتْ رحلةُ الحج ؟

تنهَّد أَبي تنهيدةً ... إيييييييييييه ... ظننتُ أَنَّ روحَه ستخرجُ معهَا ثم قال : لو أنَّ الجيشَ السُّعوديَّ طلبَ متطوعينَ لقتالِ الحوثيينَ مِشْ أحسَنْ من الحجِّ والتَّدفِيش

والذي دفع أبي لهذه المقولة هو أنَّ أبِي فلسطينيٌّ ... مثلي تمام ... والفلسطينيُّ يا سَادة يعشقُ رائِحةَ البَارودِ كمَا يعشقُ عبادُ اللهِ رائحةَ كريستيان ديور

أُمي التي عادتْ منتشية من صوتِ ماهر المعيقلي كانتْ ترمقني بنظراتٍ لا أَعرفُ كيفَ أَصِفُها المهمُّ شعرتُ وقتَها أنّي أُقاتِل معَ الحوثيينَ ضِدَّ أَبي

دائِماً ما تبدَأ الأُمور بصورةٍ جيِّدة ثم تنقَلِب

حتى أَني كلَّما قرأتُ عن نـهَايةٍ سعيدةٍ اختنقتُ بغبَائِي

قرأتُ مرَّةً أنَّ امرأَةً تركيّةً ثرية بَنَتْ مسجِداً أَسمتهُ مسجدَ (وكأنني) وقصةُ هذا المسجدِ أَنَّ المرأَة كانتْ كلَّما سمعَت امرأَةً تقولُ اشتريتُ سِواراً أَو عِقداً سألتهَا عن ثمنِه وأَخذتْ من مالِها بقدرِ ثمنِ الشَّيءِ ووضعتهُ في صندوقٍ وقالتْ وكأنني اشتريتُه ولمَّا كثُر المالُ بَنَتْ المسجِد وأَسْمَتْهُ مسجِدَ وكأنني!

قرأتُ أيضاً أنّ زُوربا كانَ يحبُّ الكرزَ بجنونٍ وأنَّ هذا الأَمرَ كانَ يرهِقَه حدَّ الإعياءِ ... وفي إحدى اللَّيالي أَحضَر وعاءً كبيراً وملأَهُ بالكرزِ وظَلَّ يأكلُ حتى استقَاءَ ... ومن صبيحةِ اليومِ التَّالي تحوَّل الكَرزُ إلى فاكهةٍ عاديَّةٍ بعدَ أَنْ كانَ رغبَةً مجنونَةً!

فاطمةُ ابنتِي كانتْ تعانِي ما كانَ يعانِيهِ زوربَا ولكنْ ليسَ معَ الكرزِ بلْ معَ قصَّةِ ليلى والذئِب فحاولتُ أَن أُخلِّصها من الأَمرِ وذاتَ مسَاءٍ مثّلتُ دورَ الذئب وكنتُ أَفتحُ عينيَّ الكبيرتينِ وأَشدُّ أُذنيَّ لتكبَرا وفتحتُ فمي واندمجتُ بالدورِ وعضضتُها فأوجعتُها ثم حملتُها على ظهري وطفتُ بها الغرفةَ وكنتُ أَروحُ وأجيءُ وهي على ظهري تضحكُ بصوتٍ عالٍ وتقولُ (بابا ذئب)

في صبيحةِ اليومِ التَّالي احسستُ بيدٍ صغيرة على وجهي فتحتُ عينيَّ

فكانتْ فاطِمة وإذا بِهَا تقول لي : انـهضْ أيـها الذئب!

دائِما ما تبدَأ الأُمورُ بخيرٍ ثمَّ تسُوء

سأغادِر قبلَ أَن يتبَادَر لذهنِي بدايةٌ جيّدة

أَراكُم بخير...

كبرتَ حقا يا ولد

منذ ما يقارب العقد من الزمن قررتَ أن تُخفي جنونك بالكلمات وكانت تلك الفكرة ذروة جنونك ... ومع الكلمات كبرتَ وكبر همك معك ولم يعد باستطاعة قلمك أن يرقّع ضعفك وها أنت الآن في التاسعة والعشرين... وكان جدك صديقك ... لم يكن يكبرك كثيرا ... كان في الخامسة والستين وكنت أنت في الرابعة ! وكان يلاعبك لينسى معك أنّ السموأل قرر أن يحق دم ابنه هذه المرة ويخون ! لينسى أنه صار بلا حقل .. بلا عكا .. بلا وطن ... كنتَ أنت نسيانه وكان هو ذاكرتك ! كان طفلا جميلا ولكن الأطفال أيضا يموتون...

ورثت من جدك لون عينيه ونبرة صوته وعناده لذلك أحبتك جدتك وكأنّ لا حفيد لها سواك ! ولعبت لعبة الذاكرة والنسيان مرة أخرى ... نسيت هي فيك جدك وتذكرت أنت فيها عكا ! ... وكانت تقول لك يا بني اعرف من شئت ولكن لا تحبنّ امرأة سواي ولم تخنها قط الا حين جاءت تلك التي استعبدت أعماقك ولوّنت أيامك وسيطرت على مداخل الوقت ... وكانت جدتك كل مساء تعذبك بالذكريات ... تروي لك أدق التفاصيل عن رحلة حبة القمح من حين يزرعها جدك إلى أن تصير رغيفا ! وكنتَ أنت تحب أن تعذبك جدتك بالسنابل ... ولما أيقنت هي أنك حفظت سنابل القمح عن ظهر قلب كما تحفظ إخوتك قررت أن تعذبك بعكا ووجدتَ أنتالعذاب بزرقة البحر أجمل من العذاب بخضرة الحقل!

ولما عرفت جدتك أنك كبرت وأن حضنها لم يعد يتسع لك قررت أن ترحل

! وحفرت قبرها بيدك ... وأهلت عليها التراب بيدك ... أي إنسان أنت ؟!
أهلت التراب على ذاكرتك مذ أهلته على جدتك ... بلا ذاكرة أنت الآن ...
لم يعد لديك شيء .. لا قمح ... لا عكا ... لا ذاكرة .. لا أنت!
ومنذ عشرين عاما كنت تحتل المقعد الأول في الشقة الثانية من الصف
الثالث الابتدائي من مدرسة دير ياسين حين صفعك المعلم دون وجه حق
! لم تبك كالاطفال يومذاك ... اندفعت خارجا ورجمت غرفة الصف
بالحجارة ولما أصبت زجاجا وليت على عقبيك...
خفت أن ترجع لأمك لأنها كانت تقول للمعلم على مسامعك لك اللحم
والعظم لي ! وخفت أنت على لحمك فقررت أن لا ترجع الى المدرسة ...
ماذا تفعل ؟! كعادتك ايها الجبان قررت الهرب !
كنت تخبىء محفظتك بين القصبات وتذهب الى البحر وعندما يحين وقت
عودة الطلاب كنت تندس بينهم وكان شيئا لم يكن ... وكان من الممكن
ان يمتد هروبك لأكثر من يومين الا انهم احرقوا القصبات حيث كانت
محفظتك وعدت الى البيت صفر اليدين وتعرفت على امك حين تغضب
... ضربتك وضربتك ولما تعبت عضتك في كتفك ! عضة علمتك أن الله
حق فاجتهدت وها أنت مدرس في نفس المدرسة وعليك كل يوم أن تسمع
صوت الزجاج الذي انهار منذ عشرين عاما
ها أنت في التاسعة والعشرين الآن ... كبرت كثيرا يا ولد ... كبر همك
... مات جدك . ماتت جدتك ... متَّ أنت ... وكل الذين عشقتهم ماتوا!

دروس في الجاهلية الأولى

عزيزي العابرُ في الحرفِ التَّاسعِ:

ها أنتَ هُنا كما كُنتَ آخِر مرَّة ... حقيقةً لا أَعرفُ متى تحَامقتَ وفـَعلتَها ولكِن مَرحباً بكَ على كلِ حَال ... ها أَنتَ تدخُلُ من شِقٍ في القلبِ فالقلوبُ بعد بغدادَ وغزةَ تشققت ! أَما الابوابُ فارفُصْهَا برجلِكَ وادخُل فلم يعُد لأحدٍ حُرمَة بعدَ أَن استبَاحُوا المَسجِدَ الأقصى!

إن كُنتَ ما زِلتَ تقرأ فَهذا يعنِي أَنَّكَ حيٌّ تُرزق، وأنَّك مَدينٌ بحياتِك لحكَامِك لانَّهم خنقُوا أَحلامَك ! فإنَّ شعوبَ السُّويدِ والدنمارك وسَائِر بلادِ الله المنخَفضةِ، ينتَحِرون حينَ يحققون أَحلامَهم. فقَبِّلْ يَدَ دولَتِكَ لأنَّها قرَّرت أَن تُبقِيكَ لأهلِكَ وذَويك!

وبِالعودةِ الى الأَحلامِ، فاعلَم عزيزي أَنّي مُتخَمٌ بأحلامِ اليَقَظَة ،وأنّي ذاتَ مسّاءٍ جمعتُ زعَماءَ العربِ، وقَررتُ أَن أُعطِيهم درسَاً في الجَاهليَّةِ الأُولى ! وفي لَحظَةِ انتباَهٍ مِنهُم قلتُ لهُم :

إنَّ امرُؤَ القيسِ أَودعَ عِندَ السَّموألِ مالاً وسِلاحاً ودروعاً، وقصدَ قيصرَ – برفقَةِ صاحبِه عَمرو بن قميئةَ بن ذريحٍ بن سَعد بن مالك الثَّعلبي- ليسَاعِده على استردَادِ مُلكِ أبيه ،وأَنشَد في الدَّربِ إلى قَيصَر:

بَكى صَاحبي لمَّا رأى الدَّربَ دُونَه

وأيقنَ أنّا لاحِقانِ بقيصَرا

فقلتُ له : لا تبكِ عينُكَ إنَّما

نُحاولُ ملكاً أَو نَموتَ فنُعذَرا

ثُمَّ إن امرُؤَ القيسِ بن حِجر مَات ،فجاءَ ملكُ كِنده –الحارثُ بن شَمرٍ الغسَاني– يُطالبَ السَّموألَ بتركةِ امرؤ القيس. فأبَى السَّموألُ أَنْ يدفعَها إلا لمُستَحقِيها ... وتَحصَّنَ السَموألُ لمَّا رأى الشَّر في عيونِ ملكِ كِنده. إلا أن الملكَ عثَر على ولدٍ للسموألِ خارجَ الحِصنِ فقَال له : إما أَنْ تدفعَ إليَّ بالتركَة او ذبحتُه . فقَال السَّموأل: إنَّ ذبحَ ولَدي أمامَ نَاظِريَّ أَهونُ عندي مِن أن تقولَ العربُ لقد خَانَ السَّموأل .

فذبحهُ، ومضَى في سبيله، ثُمَّ إنَّ العربَ إذا ارادتْ أن تُكْرِمَ أحداً على أَمانَتِه ،ووفَائِه ،قَالتْ إنّ فُلاناً أَوفى من السَّموأل.

عِندهَا إلتَفتُ إلى زُعماءِ العربِ الذينَ تملَّكتهُم الدَّهشَةُ وقلتُ : مَاذا فهمتُم من القصَّة؟ فقالَ أحدُهم لقد تعلَّمنا أَنْ نُحافظَ على حَياةِ أَبنائِنا وطُزٌّ بالامَانات !وقبلَ أَن أصفعَه قامَ آخر وقالَ: لقد بلغَني أَنَّ السَّموألَ كانَ يهودياً ،وإننا قومٌ نُهينا عن التَّشبهِ باليهودِ والنَّصَارى، فأَقامَ الحُجَّة عليّ وقرَّرتُ أَن أَقصَّ عليهِم قِصة أُخرى فقلتُ:

إنّ عَابِدَ أَوثانٍ ممنْ كانَ قبلكُم سمعَ جلبةً خارجَ خيمتِه، فخرجَ فَزِعاً لينظُر الأَمرَ،فإذا بنفرٍ من قومِه يحمِلون عِصِيا، فاستفسَر عن الامرِ فأخبروه أَنهم يطارِدون سِربَ جرادٍ ،وأَنَّه وقعَ في فَيءِ خيمتِه،وأَنهم يريدونَه،

فشَهر سيفَه، وقد احمرَّ وجهُه، واعتراهُ الغضبُ، وقال : جرادٌ احتمى بي كيفَ أُسلِمْه لكم؟! وجلسَ يحرسُه الى أَنْ تحرَّك الظِّلُ ،وحَمِيَ الرَّملُ، وطَار الجرادُ حينها قال لقومِه: الآن أَنتُم وما تطلُبون.

ومنذُ ذلكَ الحينِ والعربُ إذا أرادت أَنْ تنعتَ أَحداً بالحميَّةِ، وحسنِ الجوارِ ،قالت :فلانٌ أَحمى من حَامي الجَراد.

فرفَعَ أَحدُ حكَّامِ العربِ اصبَعه وقال لي : أَقسمتُ عليكَ أَن أُخبركَ مغزى القصةِ،فأشرتُ اليهِ ان قُلْ، فقالَ: انَّكَ تريدُنا ان نتركَ الجرادَ يأكل الاخضرَ واليابسَ ،وان نُصدر احكاماً ملكيةً ،وجمهوريةً، بمنعِ استخدامِ المبيداتِ .وقبلَ ان اقولَ رأيي قامَ آخر وقال لا يا أَحمق، انه يريدُ مِنا ان نبيعَ طائِراتِنا ،ودباباتِنا ،ونشتري بها سُيوفاً ،هل رأَيتم أَحمقَ من هذا الحكواتِي ؟!فضحكوا عليّ فكَظمتُ غيظي وقررتُ ان أُكملَ فقلتُ لهم :

إنَّ أحدَ قياصرةِ الرُّومِ بلغَتهُ أَخبارُ كرمِ حَاتمِ الطَّائِي فاستَغربَها، وعلِم القيصَر انَّ لحاتِمِ فرسَاً مِن كِرامِ الخيلِ، عزيزةٌ عندَه، فأرسلَ بعضَ حُجَّابِه يطلبُونَها . فَلمَا دخلَ الحَاجِبُ دارَ حاتِمِ استقبَلهُ أَحسنَ استقبِالٍ وهوَ لا يعلمَ انَّه حَاجِبُ قيصَر. وكانت المَواشِي في المَرعى، فلمْ يجِد اليهَا سَبيلاً لقِرى ضَيفِه فنحَر الفرسَ، وأضرمَ النَّار، ودخَلَ إلى ضيفِه يحادثُه، فأعلمهَ أَنَّه رسولُ القيصَر،وأَنَّه جاءَ يستمحِيهِ فرسَه ،فسَاءَ ذلكَ حاتِم وقالَ : هلَّا أَعلمتَني قبلَ الآن فإنِّي قد نحرتُها لكَ إذْ لمْ أَجِد جَزوراً غيرهَا .فتعجَّبَ الرَّسولُ مِن سخائِه وقالَ له: لقد رأَينا منكَ أكثرَ ممَّا سمعنَا.

وكَانَ من كَرمِه ينشِدُ:

وإنّي نَشرتُ الأعلامَ دلائِلا ومَا ينبحُ الكلبُ أَضيَافِيه

وإنْ لم أجِد لنَزيلِي قِرىً قَطعتُ له بعضَ أَطرافِيه

ومِن حفَاوتِهِ وسَعادتِه باستِقبَالِ الضّيوفِ أَنَّه كانَ يأمُرُ خَادمَه أن يوقِد النَّارَ في الليلِ على تلةٍ كَي يراهَا من أنهكَه الجوعُ، وبلغَ عظَامَه بردَ الصَّحراءِ. وكانَ اذا جلبتْ نارُ الخَادمِ ضيفاً ،أَعتقه، وكانَ ينشد قائِلا:

أَوقِد النَّارَ فإنَّ الليلَ قَرٌ والريحُ يا موقِد ريحُ صِر

عسَى يرى نارَكَ من يَمر فإن جلبتَ ضَيفاً فأنتَ حُر

عندهَا قامَ رجلٌ مربوعٌ منهُم كلكُم يعرفُ كم أَكرهُه، فقالَ لي : وهلْ تُريدنِي أَن أَذبحَ سَيَّارة اللموزين ،وأُطعم النَّاسَ في غزة ،وإنْ فعلتُ هل تقوى أفواهُهم على مضغِ الحديدِ؟! فقلتُ له نعم تَقوَى، وتقوَى على مضغِ لحمِ الكِلابِ فانتَبِه للحْمِكَ!

عندهَا صَرخَ الجَميعُ كُفَّا عَن هَذه المُهاترَاتِ . وأَخبرنَا أَيها الحكَواتِي قِصَةً أُخرى فقلتُ لهُم:

إنَّ ابنَ جدعَانَ كانَ كريمَ مكَّة، وكانَ لهُ خَادمٌ إسمُه مشمعل ،كانَ كلَّ صَباحٍ يصعدُ جبلِ أبي قبيسٍ بمكةَ، ويقولُ: من أرادِ البَابَ البر بنسيلِ العَسلِ فليأتِ مائدةَ ابنِ جدعانَ، وإذا كان الظُّهرُ نادى مشَمعَل من أرادَ اللَّحمَ والثريد فليأتِ دار ابنِ جدعانَ.

وكانَ يقولُ أَيضاً من كانتْ له حاجة فليقِف أَمامِي ولا يتكَلَّم،وأنا أُعطِيه حاجتَهُ دونَ أَن يتكلَّم، ويذهبَ ماءُ وجهِه. وفيهِ قالَ أُمية بن أبي الصَّلتِ :

أأذكرُ حاجتِي أم قد كفَانِي

حبَاءَكَ أنَّ شِيمتكَ الحبَاء

إذا أثنى عليكَ المرءُ يوماً

كفَاه من تعرضِه الثَّنَاءُ

عندَهَا قامَ أَحدُهُم وقالَ لِي إنَّ أَجهزةَ المخَابراتِ عندي قد عصَرتْ آلافَ الوجوهِ، ولكنَّهم لم يجِدوا أثراً للماءِ فكيفَ تقولَ إنَّ للوجوهِ ماءٌ؟ فقلتُ لعلَّها ذهبتْ خَجلاً من أنكَ حَاكِمُهم فصرخَ وصَرختُ وتدخَلَّ الحُضُور مطَالبينَ بقِصَةٍ أُخرى.

أردت أن اكمل ولكن أحلام اليقظة قطعتها نشرة أخبار الجزيرة فقد حان وقت أن يرجع كل لحجمه.

أرشيف

المعذبين في الأرض

١

لكلِّ شيءٍ خُطوة أولى ، حتى للعذاباتِ...

...وفي الطريقِ من الفردوسِ إلى التيه كانوا يتسَاءَلون ماذا ستفعلُ السنابلُ بقمحٍ كانَ من المفترضِ أن يكونَ لهُم ؟

وماذا ستفعلُ الدوالي بعنبٍ لم يُخلفوا يوماً مواعيدَ قِطافِه ؟

وكيفَ ستنتفخُ أرغفة غيرهم على وَهْجِ تنانيرَ بنَوْهَا هُمْ على عَجَلٍ من طينٍ وماءٍ كأعشاشِ الدوريّ الصالحةِ لتزاوجٍ واحد ؟

وكيفَ لناياتٍ أوجَدُوها من قصبٍ لم يكنْ صالحاً إلا لمُشَاكسةِ الريحِ ، أن تحبلَ بهواءٍ خارجٍ من غير رئاتِهم ثم تلدَ أنغاماً من سِفاح ؟

وماذا ستفعلُ الطيورُ إن عادتْ ولم تجِدْهُم وهي التي ودّعتهُم في لعبةِ فراقٍ و لقاءٍ يتعاقبان كالليلِ والنهارِ فلا يُخلِفُ أحدٌ موعِدَه ؟

وكيف سَيُسْلِمُ الحمامُ هديله لغيرِ الذين أشبعُوه من فُتاتِ خبزِهِم ؟

وكيفَ سيميّزُ الغرباءُ بين قطعةِ أرضٍ وأخرى ، فللنازحين مقاساتٌ لا

يتقنها قومٌ غيرهُم ، هم الذين يقيسون المسَافة بالخطوةِ ودقاتِ القلبِ...

هم البسطاء كماء المطر ، المركّبون كحكايا الريح في قيثارات الرعاة...

هم الماديّون المترقبون للفوارقِ بين حساباتِ الحقل وحساباتِ البيادر ، والروحانيون كصلوات العجائز لا تعرفُ من الدنيا غير ملامحِ قاطنيها لكثرةِ ما تتكررُ الأسماء !

هم حاملاتُ الجرار إلى النبعِ قبلَ أن تعرفَ المنازلُ استعطاءَ الماءِ من أنابيب ... ذاهباتٍ خِماصاً ... عائداتٍ بِطَاناَ ... في دورةِ ريٍّ تعلموها وعلّموها ... ورثوها وأورثوها ... فسبحان من خلقَ كلّ حيٍّ من ماء...

هم العشيرة كلها تتكاتف على عشيرةٍ أخرى في " طوشةٍ عربٍ " ينهيها الأجاويد بفنجانِ قهوةٍ عربيّة أيضاً...

هم الشيوخُ ... يستيقظُ الفجرُ فيجدهم قد سبقوه لقيام الليل ... والرجالُ يتعثرُ الصبحُ فيهم مزروعين على درب الحقل قبل أن تهتكَ الشمسُ أسرار الأشياءِ من حولهم...

فيهم قطاع الطرقِ ... واللصوص ... ورهبان الليل ... والعُبّاد ... والزهادُ ... والغانياتُ ... والقانتاتُ ... والجاهلاتُ ... والعارفاتُ ... والقبيحاتُ ... والفاتناتُ ... الكنعانياتُ الممسكات بتلابيب القلبِ بحبلِ الغنجِ ...

المتضوعات بالزيزفون ... السارقات حمرة شقائق النعمان لخدودهن ... القابعات في خدورهن ... فيهم العقلاءُ ... والكرماءُ ... والبخلاءُ ... والشجعانُ ... والجبناءُ ... والتقاةُ ... والعصاةُ ... والحماةُ ... والحفاةُ ... والرعاةُ ... فيهم كل ما خلق الله من ورى فوق الذرى

هم الذين كانوا أثناء ممشاهم إلى التية يظنون أنّها لن تكونَ خطواتِهم الأخيرة على هذه الأرض ولكنّها كانتْ !
لم يحفلوا كثيراً بمراسيم الوداع ، ولم ينثروا الخبزَ وراءَهم ليهتدوا بفتاتِه حين يرجعون ، فقد كانوا يحفظون الدربَ عن ظهرِ قلب

حملُوا ما يكفي لفراقٍ قصيرٍ فقط ، غير أنّ الأم اكتشفتْ في منتصفِ الطريقِ انّها في لحظةِ ارتباك تشبّثتْ بالوسادةِ وتركتْ الطفلَ في السرير ، فلمْ تسمحْ لهم حكايا الموت الجماعي التي قصّها الناجون الذين دبّر القتلة طقوسَ نجاتِهم بمراجعةِ كل التفاصيلِ الصّغيرة !

هم الخارجون كرهاً من أرضٍ لم يبقَ منها إلا حكايا جداتٍ ، وحفنة ذكريات...

٢

بأيّ لغاتِ الأرضِ أكتبُكِ أنتِ الخارجة من وطنٍ لفظته المجرّة عن مداره في لحظةِ ارتباك كونيّ ، وحين أرادوا إعادته وجدوا المدار مغلقاً ، والوطنُ مشمعاً باللون اللون الأحمر ومكتوبٌ على بابه : " يُمنعُ دخولُ الغرباء "

.

يا غريبة...

ثمة أبوابٌ نأتيها كلّ نوبةِ حنينٍ طامحينَ أن نطرقهَا بأناملِ الفقدِ ، وحين نجِدُهَا مُوصَدة نكبرُ على عتباتِهَا ونشيخُ دفعةً واحدة ... وحدَهَا الذكرياتُ تخبرنا أنّ خلفَ البابِ أشياء جديرة بالانتظار...

يا غريبة...

كانَ لا بدّ من منفى لِنُدركَ حجم الفاجِعَة ، وقيمَة أشياء كنّا نظنها جزءاً مملاً من حياتنا فإذا هي حياتنا كلها ... وسنوات طويلة من الصّداقة مع الزّيتونِ ، والزّعترِ البرّي ، وضَوءِ القمر ، وزُرقةِ البحر ، انهَارتْ في لحظةٍ واحدةٍ ... كم هي خائنة تلكَ الأشياء التي تيّمتنا وكنا نظنُّ أننا تيّمناها بدورنا فاكتشفنا ذات خديعة أنّها لم تكن سوى بائعة هوى تمضي مع من يدفع أكثر ... ماذا ندفع الآن نحنُ الفقراءُ كما ينبغي ... التعسَاءُ

كما يستحقُّ الذين لم يسيّجوا أوطانهم ...البؤساء كما يليقُ بالذين قاسموا خبزهم وزيتهم مع كلِّ عابرٍ دون أن يسألوه من أين أتيتَ وإلى أين تمضي !

وفي المنفى اكتشفنا كم نحنُ طاعنينَ في الهزيمة...

وأكتشفنا أنّ من خلعوا عنه وطنَه يستحيلُ أن تسترَه خيمَة...

واكتشفنا أنّه يلزمنا سنواتٍ طويلةٍ لنجيدَ الاستعطاءَ ، وسنواتٍ أطول لنألفَ الخيبة !

من أصحابِ حقولٍ إلى متسولي طحين ، وفي الخيام يكبرُ الكلُّ على الهمّ ويتكاثرون ويتوراثون ضيَاعهم ، وعلى حبّاتِ العدسِ – هبة شهود الزور على الفاجعة – يعيشون ...

يُطلقون الرصاص عليكَ بيدٍ ويُلقِمُوكَ الملعقة في فمك باليد الأخرى ثم يربتون على كرامتك ويقولون لك : كم انتَ جديرٌ بالذل !

٣

عنْ صَبرا وشاتيلا ، وصِغارٍ كتبوا أرشيفهم بالدم قبلَ أن يتعلمَ أطفالُ العَالمِ الكتابَة

عن حواملَ بقرُوا بطونهُنَّ وسجّلُوا بالأجنّةِ أهدافاً في مرمى رسمُوه على جدارٍ

عن أمهَاتٍ نجَوْنَ من الذبحِ ليمُتْنَ كلّ يومٍ ألفَ مرةٍ بسكينِ ذاكرةٍ مشحونةٍ بالفقدِ

عن آباءَ آخرَ ما رأوه من الدُنيا رؤوسُ أبنائِهم متدلية على صُدورِهم

عن جثثٍ لم يعثرُوا لها على أهلٍ ، وعن أهلٍ لم يعثرُوا على جثثِ أحبتِهم ولو يلوّحُوا لهم بأيديهم مودّعين ولم يتسِعْ الوقتُ لقبلةٍ أخيرةٍ

عن عائلةٍ دُفنتْ في قبرٍ واحدٍ من فرطِ المحبّةِ

عن شجرةِ الدَّارِ شربتْ من دمَاءِ أصْحَابها حتى ثملتْ وهل التوتُ هناكَ إلا هذيانُ الأشجارِ على الراحلين ؟!

عن جُروحٍ ينكؤها الحَمَامُ كلَّ مساءٍ وهل هديلُ الحمامِ هناك إلا تأريخٌ للمذبحة ؟!

عن فناجينِ القهوةِ لمْ تكملِ الجَارات قراءَتها فقد خنقُوا أحاديثَ البنّ على شفاهِ الفناجينِ

عن البئرِ يحنُّ للعجائزِ يغمِسْنَ دلالهُنَّ في صفحةِ الماءِ ، فاتناتٍ

يضَايهنَ وردة نرجسٍ متعبةٍ رغمَ أنـهنَّ لم يعرفنَ من الوردِ سوى الشَّوكِ

وأكاليلَ يلقيها زوارُ القبورِ عليهم كلّ عامٍ مرةً واحدةً تصادفُ ذكرى المذبحة

عن أرغفةٍ خبأتهَا الأمُّ في جنـحِ العتمةِ لزومَ وجبةِ الفطور فتغمَّستْ بدماءِ من ناموا يحلمُون بلقائِها على المائدةِ صبيحة اليوم التالي ...

عن المطرِ يتآمرُ مع الجناةِ فيغسِلُ دماءَ الضحايَا عن وجوهِ الجدرانِ في الأزقة

عن الداليةِ البيضَاءَ التي شربتْ من دمِ ابنِ الثلاثةِ أعوامٍ فلمَّا تفتقتْ عن عنبِهَا في العام التالي جاءتْ القطوفُ حمراءَ

عن موتٍ خبرُوه دونَ إثمٍ اقترفوه

عن وطنٍ ضربُوا معه مواعيدَ فماتوا على مرمى حجرٍ منه

٤

باسمِ الأسيراتِ ماتَ المُعتصم!

باسمِ الأمهاتِ تبشرُهُنَّ القابلاتُ بمجيءِ العبواتِ النّاسفةِ

باسمِ الآباءِ يزرعونَ أبناءهم كالزيتونِ ثنايا الأرضِ المُقدَّسةِ

باسمِ الحافلاتِ المشطورةِ نصفينِ في شوارع تل أبيبٍ صارخةً باللهبِ " أنْ بُورِكَ من في النارِ ومن حولَهَا"

باسمِ القدسِ يرطِنُ الفِرنجة في أرجائِهَا لغتهُم الثقيلة طوالَ النَّهارِ ليطبِّعُوهَا ، وفي الليلِ تنقلبُ عليهِمْ ، وتفتحُ بريدَ الشَّوقِ لقحَطٍ وعَدنَان ، وحينَ يأتونَ صَباحاً ليمتحِنُوها ، تقولُ لهُم : " قل أعوذ بربِّ الفلق " ! فيتأففون من هذه المدينة الغبية!

باسم عكا تحاصرُ البحرَ

باسم يافا تصرخُ بالبرتقال : " لسانُ الذي يُلحدونَ إليهِ اعجميٌّ وهذا لسانٌ عربيٌّ مبين. "

باسم المسجدِ الأقصى يزعمونَ أنّه يطَأُ على رأسِ هيكلهم

باسم الضفةِ أرادها الخونة غصنَ زيتونٍ فصارتْ عبوةً موقوتة أخفتْ عن الجميعِ مواعيدَ انفجارِها

باسمِ غزة ، لم يعرفِ التاريخُ قبلها مدينة جائعة تُقاتل ، باسمِ جوعها تحوَّلتْ مزاريبُ الماءِ هناكَ إلى صواريخ

باسمِ حجرٍ أصم ما إن تمسَّه يدُ الصغارِ حتى يصيرَ من سجيلٍ

باسمِ " يعْبُدْ " أحراشٌ شربتْ من دمِ عزِّ الدينِ القسَّامِ فتحولتِ الأشجارُ إلى قناديل

باسم رائد أغلقوا البرَّ بوجهِه فامتطى صَهوة البحرِ ... اعتقلوه ... الاغبياءُ فاتهم أنَّ اقفاصَ العالمِ كلها لا يمكنهَا اعتقالُ صوتِ عُصفور

باسمِ نبي الأميين ظَهَرَ فدانتْ له العربُ ثم اخلفتْ وصاياه فلم تعدْ تشدُّ الرحالَ لمسراه

باسمِ سورةِ الإسراء تجمّعَ القتلة لتمارسَ فيهم الضحية ثأرها على مسمعٍ ومشهدٍ من حجرٍ وشجرٍ فلم يعدْ يصلحُ الإختباء

باسم الغرقد شجرٌ تعلَّم من البشرِ الخيانة

باسمِ نخلِ بيسانَ يوشَكُ ألا يثمرَ فيخرُجَ الدجال

باسمِ بحيرةِ طبريا تروي ظمأ يأجوج ومأجوج

باسمِ " اللدِّ " ورمحِ ابن مريمَ وموعدٌ لختام الحكاية

باسم المسيحِ يُحرِّزُ عبادَ الله إلى الطور

باسمها كلها حرفاً حرفاً ، حجراً حجراً ، شجراً شجراً ، بشراً بشراً ، " إنَّ فيها قوماً جبارين "

٥

الحِصَارُ آخرُ فلسَفاتِ بني العربِ

أنا والغريبُ على أخي وأنا وأخي غريبَان

.

.

وخلفَ الجدارِ غزّة...

دعُوها وشأنها ولا تهتِكُوا سترَ الصمتِ حولهَا

لا تجرّبوا الدخولَ إلى هناكَ ولو في الحلم

شوارعُها ليستْ مُعبّدة بما يكفِي لتليقَ بأحذيتكُم

ودمُها الذي لا يكفّ عن النزيفِ قد يُلطّخ ثيابكُم

لا تقرأوا كتبَ الشّافعيّ كي لا تتذكروهَا

أوصِدُوا النوافذ بوجهِ الريحِ فقد يأتي محمّلاً برائحتِهَا رغماً عن حرسِ الحدودِ

ولا تستمِعُوا لحكايا البحرِ، فالمراكبُ هناكَ لا تصلحُ لتكونَ بريدَ شوقٍ

لا تُخبرُوا أولادكُم عنها كي لا يواجهوكم بأسئلةِ الأطفال المُحرجة

ما الذي اقترفته غزة كي تتركوها وحدَها ؟

ومن يشتري للأطفال ثياب العيد وقد فقدوا آباءهم ؟

وكم عدد أضلاعِ المُثلثِ في حصّة رياضياتٍ على صوتِ هديرِ الطائرات؟

وهل يبقى الألفُ مستقيماً بالنسبةِ لطفلٍ لم يشبعْ بما يكفي على وجبة الفطور؟

وما وجه الخلافِ بينَ الزواحفِ والبشر الذين فقدوا أطرافهم؟

وأي عينٍ تُغمضُ المرأة التي فقدتْ عينها في الغارةِ الأخيرةِ إن أرادتْ أن تُدخل الخيطَ في الإبرةِ لترتأ ثيابَ أولادها ؟

دَعْكُمْ من حكاياهَا الفارِغة

دَعْكُمْ من ترميمِ مساجدِها فأبراجكم تحتاجُ إلى كلّ حبةِ إسمنت لتناطح السَّحاب

سُدوا آذانكم بالقطنِ عند مواقيت الصَّلاةِ فصوتُ الآذانِ هناكَ حزينٌ بما يكفي ليفطرَ القلبَ

وفّروا شُحَنَ الدواءِ فستنتهي صلاحيته على المعبرِ وهو ينتظرُ إذنَ الدُّخولِ

ولا بأسَ بالأكفانِ فالأقمشة تعمّر طويلاً ولكن لا تنسوا أن الشهداءَ يُكفنون بثيابهم

دعكم من يومياتها الرتيبة

في غزة ما يكفي من حباتِ العدسِ لتصمدَ يوماً آخر فاستريحوا

وما يكفي من موتِ الأطفالِ لتصبحَ فصولُ الدراسَةِ أقلّ اكتظاظاً فوفروا أقلام التلوين

اتركوها لجرحِهَا

اتركُوها تُذلّ جلاديها وتُعلمهم أن الدمَ حادّ بما يكفي ليجرحَ السَّيف

وأنـهم يحتاجونَ لجيلٍ جديد من المركافا فالجيلُ الأخيرُ اخترقته العبوات الناسفة أيضاً

اتركوها تقاتلُ وحدَها فالقتالُ يا بنـي قومي من فروضِ الكِفاية.

قس بن ساعدة يتنبأ

.

.

يُحكَى أنّ " أبا جعفرٍ المنصُور " _ على ذمَّةِ الرَّاوِي طبعاً والرُّواةُ غالباً ذممُهم أوسَعُ من شِروالِ جدَّي _ كانَ على صِلةٍ وثيقَةٍ بالعرَّافين ، والمنجمِينَ وضَاربِي الرَّملِ ، والودَعِ ، فلا يقطَعُ أمراً ، أو يصِلَه إلا بعدَ أن يرجِعَ إليهِم.

ويُحكَى _ على ذمَّةِ " أوبرا وينفري " هذه المرّة _ أنّ " رونالد ريغِن " كانَ مُحاطاً بفريقٍ من العرَّافينَ ، والعرَّافاتِ ، يأوي إليهِم كلمَّا ادلهمَّتْ بوجههِ الخُطوبُ ، وببركَةِ دُخانِ بَخُورِهم يُصَالحُ أقواماً ويحَاربُ آخرين.

ويُحكَى _ على ذمَّةِ شريطِ فيديو وأشرِطَةُ الفيديُو أصدقُ إنباءً من الكتُبِ _ أنَّ رئيسَ البيرو الأسبق " ألبيرتو فيجموري " ضُبِطَ متلبّساً بالصوتِ والصُّورةِ يستمِعُ لوحي عرافةٍ لتسليكِ أمُورِ العبادِ والبِلادِ.

فإذا كانَ هذا أمرُ الخاصّةِ فالأمرُ عندَ العامَّةِ حدِّث ولا حرَج.

انقضَى العامُ ٢٠١٠ بكلِّ ما فيهِ من دجَلٍ بَدْءاً بقمَّةِ " سيرت " ، مرُوراً بنبُوءات " بولِ " الأخطبُوط ، إنتهاءً بملفِّ قطرٍ الكرويّ الذي سيحترِمُ ثقافةَ الشُّعوبِ المتأهِّلةِ بما فيها ثقافةُ مصَاصِي الدَّماءِ دونَ أن يُخبِرنا الملفُّ بأيِّ مرحَاضٍ سيضَعُ " حمدٌ " و " موزة " رأسيهما إذا ما عُزِفَ النَّشيدُ الإسرائيليُّ في سمَاءِ الدَّوحةِ!

واستقبلَ النَّاسُ العامَ ٢٠١١ على وجُوهِ العرَّافينَ الذين احتلُّوا شاشاتِ التَّلفزةِ بعد عودتِهم الميمُونة من اللَّوحِ المحفُوظ ! وبين نبوءاتٍ محليّةٍ ، وأخرَى إقليميّةٍ ، وثالثَةٍ دوليَّةٍ ، مليئةٍ بالزلازلِ ، والكوارثِ ، وتحطُّمِ الطائراتِ ، وانقلاباتٍ عسكرِيَّةٍ ، ودُوَلٍ ستضيقُ على أهلِهَا ، وأخرَى سيفتحُها جنودُ النيتو إمَّا صُلحاً فيدفعَ أهلُها الجزيَةَ ، أو حرباً فيكونُ الدَّفعُ من بنكِ الدَّم ، استفزَّنِي هذا الموقِفُ وعمَلاً بالمقُولةِ : " ما فيش حَدْ أحسنْ من حَدْ " قرَّرتُ _ اسم الله حارسنِي من عيُونِ الحاسِدينَ _ أن أتنبَّأَ !

قراءةٌ متأنِّيةٌ للواقِعِ ، ومجمُوعةٌ من الحمقَى _ باركَ الله مقامَكُم _ هي كلُّ ما يحتاجُه المتنبِّىءُ!

عربيَّاً : فنيَّاً وسياسِيَّاً:

- سَعد الحريري " يحصُلُ على وسامِ " سيبويه " لحفظِ اللّغةِ العربيَّة بعد تلاوتِه لخطَابٍ من مئتي كلمةٍ بأقلَّ من مئةِ خطأَ نحويّ.

- سلام فياض يقصُّ الشَّريطَ عن أكبرِ قُرصِ فلافِل.

- زينُ العابدين " يُصادِقُ على قرارِ محكَمةِ أمنِ الدَّولةِ بإعدام الشَّعبِ بتهمَةِ المُطالبَةِ برغيفِ خُبز.

- القذافي " يتبرّأ من العربِ ويستبدِلُ ناقتَه بفيلٍ إفريقيٍّ أصيل

- الوليدُ بن طلال " عضوٌ فخريٌّ في هيئَةِ كبَارِ العُلمَاءِ

- هيفاء وهبي " سفيرةً للثَّقافةِ العربيَّة في العَالم ، ولكن بدون نوايا حسنة.

- شعبولا " يصدِرُ كاسيتَه الجديد : " بحب جمال مُبارك وبكره البرادعي

- محمد دحلان " يتآمرُ على القضِيَّةِ الفلسطينيَّةِ وعباسُ لا يفعل!

- الأزهرُ الشَّريفُ حِصَارُ غزَّة من فُروضِ الكِفايةِ إلى فرضِ العينِ!

- زفُافُ الفنَّانة " صَباح " على نجل " الخطّاف. "

- كيلو البندُورة أغلى من برميلِ النِّفط وفتوى تحرَّم السَّلطة

- الشرطة تكسِرُ رأس نائبٍ يتمتَّعُ بالحصَانة

- تعديلُ المناهجِ في الدُّولِ العربيَّة لإستبدالِ مُصطلحِ الخليجِ العربيِّ بالخليجِ الفارسيِّ

- السُفنُ الإسرائيلية تُعفى من ضرائِبِ المرور بقناةِ السُّويسِ

- 50 بالمئة من المواطنينَ العربِ يعرفُون أنَّ جُزرَ القَمَرِ دولةٌ عربيَّةٌ

- وليد جنبلاط " ضد سُوريا مرَّةً أخرَى

- ليبرمان " يطالبُ بحقِّ (إسرائيل) في مياهِ النِّيلِ ويعرضُ صورةً لإسرائيليٍّ يتبوَّلُ عند شلالاتِ فكتُوريا مما أدَّى إلى إرتفاعِ منسُوبِ النَّهر

- رفعُ الجنسِيَّة عن أمواتٍ في مقبرَةٍ لتأخُّرِهِمْ بالتَّحوُّلِ إلى نفط

- إلغاءُ خدمَةِ " البلوتوث " في ٤ دُولٍ عربيَّةٍ

- إقامةُ الدَّولةِ الفلسطينيَّةِ المُستقلَّةِ في مقرِّ المُقاطعَةِ ب " رام الله " وعاصمتُها حذاءُ " محمود عباس " (الشريف)

- إرهابيون في قفصِ الإتِّهام بتهمَةِ إطلاقِ ماسُورةٍ على شكلِ صَاروخٍ على (إسرائيل)

- شركة إتصالاتٍ تدرِجُ خدمَة " طنِّشهُم"

- صحيفةٌ عربيَّةٌ شهيرةٌ " تُفبرِكُ " صورةً لرئيسٍ شهيرٍ " برضه " وهو يلبِجُ رئيسَ دولَةٍ عُظمَى

- روبي " تتربَّعُ على عرشِ الإغراءِ وتطيحُ بهيفا بعد كليبِّها " تحت الدُّش

- السيستانِي يعلِنُ ثبوتَ رؤيةِ الهلالِ في الخَامِسِ من رمضَان ويفطِرُ في التَّاسعِ والعشرينَ منه : " من سبقَ شمَّ الحبق"

- المتنبي " يخرجُ من مسابقةِ أميرِ الشُّعراء بسببِ شُحٍّ في التصويتِ

عالميّاً:

- البابا " بيندكتس " المدرِي رقم كَمْ يبدأ خطابَه عن تعارضِ الإسلامِ من العقلِ ويختتمْه بضرورةِ احترامِ جميعِ الأديان

- الإنتربول يمنعُ " أسانج " من لمسِ " الكي بورد "

- أوباما " يعمل " فلقة " لرئيسٍ عربيٍّ ، و " هيلاري كلينتون " تستدعي آخر لبيت الطاعة.

• مايكل جاكسون " يصدِرُ كاسيتاً بعنوان " ما زلتُ حياً " ويحقِّقُ إيراداتٍ ماليَّةٍ ضخمَةٍ.

• إصدارُ الجُزءِ الثَّانِي من " آفاتار " بميزانية ترليون دولار ولكنه يخسرُ في مهرجَان " كان. "

• ميزانيةُ " ريال مدريد " أكبرُ من ميزانية ٦ دول عربيَّةٍ مُجتمعَة

• مظاهرةٌ عاريةٌ في " أوكلاهوما " ضد قرار الحُكومَة الجائرِ وتضييقِها للحريَّةِ الجنسِيَّة ومنعِ المُواطنينَ الأكارم من الزواج بكلابِ " البول دوغ "
.

•إصدارُ نسخَةٍ مُدبلجَةٍ من نُور ومهنَّد باللُّغة السَّنسكريتيَّة

• العثورُ على نبوءَةٍ لشعوبِ " المايا " بانقراضِ البطاريقِ العَامِ الماضِي

• ناسا " تعثُرُ على " كاتشاب" و " مايونيز " في كوكَبِ زُحلَ مما يثيرُ الشكوكَ حولَ وُجودِ حضَارَةٍ بشريّة

مع تحيَّاتِ العالِمِ الرُّوحانِيِّ : قِسْ بن سَاعِدَة

مواطن من الدرجة العاشرة

هنا في هذا البلد الذي يختلف فيه الكل مع الكل على كل شيء الا على مدى رخصنا ! نعيش من قلة الموت !

نعامل كالمعز المصاب بالجرب !

لا أحد يقترب منك ... لا أحد يسأل عنك فأنت الرخيص لدرجة أن لاثمن لك !

بيتك مالك دمك كل ما فيك رخيص لدرجة أن لاثمن لك !

مطلوب منك كل شيء ولا شيء لك !

لا يطرقون بابك الا لتحصيل فواتير الماء والكهرباء... عفوا والاعتقال!!!

أما أن يكون لك صندوق بريد ...

أن يدخل الاسعاف ليقلك لمستشفى .. استغفر ربك فهذا حرام عليك إنها خدمة مجانية ولا شيء مجاني سوى موتك!

وعليك أن تفسر كل شيء لتسلم!

كيف يتفق أن تكون فلسطينيا وعيون امك خضر !

تجيب اسألوا جدتي !

ويبحثون عن جدتك فيتضح أنها تقرأ القرآن وتحج وتعتمر وتحصن فرجها وتصوم شهرها فيتوقف البحث والشك يبقى!

ومن أين تعرف عروة بن الورد وتأبط شرا وكل الصعاليك أمثالك ؟! تقول لقد درست هذا في الجامعة ... يراجعون منهاج الجامعة ... حقا لقد علموك هذه الاشياء يتوقف البحث والشك يبقى !

مذبحة تلو مذبحة ... نحن الذين نؤرخ ايامنا بالمذابح !

فنقول قبل النكبة بسنة وقبل دير ياسين بلحظة وقبل كفرقاسم بقبلة وقبل الجليل بسنبلة !

ونقول بعد صبرا وشاتيلا بجثة وبعد تل الزعتر بطفل مذبوح وبعد نهر البارد ببيت منهوب ثم محروق ...

ونقول اثناء غزّة واثناء الدم الذي لم يتوقف والجرح المفتوح على مصراعيه!

مذبحة هنا مذبحة هناك وعليك أن تعيش رغما عنك ليس لك أن تموت متى شئت إنهم لا يسمحون لك بمثل هذا الترف !

تأكد أنك ستموت ولكن لم يحن دورك بعد !

ورغم كل هذا لا نريد لهم ما حلّ بنا أعلمت قتيلا غيرنا أحب وجه قاتله إلى حد الثمالة ؟!

انعم الآن بسلام ... سلام معهود بين مجزرة واخرى...مجزرة قد يكون نصيبها من دمك أو دمي ...

وإلى أن تحين تلك اللحظة التي قد لا نجد فيها قبرا وهو أبسط حقوق الأموات لغبائي أحدثك عن حقوق الأموات في بلد ليس فيه للاحياء حقوق!

مواطن من الدرجة العاشرة أنت !

يأتي قبلك البشر الذين يشبهونك في الشكل فقط ولكنهم من نوع ارقى ! ثم الكلاب المدللة ..فالقطط ..فالحيونات الداجنة.. فالعصافير.. فالأسماك ..فشجر الارصفة ..فرمل الشاطىء.. فالآثار الرومانية ثم تأتي أنت ! ابتسم ليس تصنيفك سيئا الى هذه الدرجة !

أنت في الدرجة العاشرة قبل السل والسرطان وانفلونزا الخنازير!

احمد ربك أن لحمك لا يؤكل ... تأخر الوقت تصبح على مجزرة فأنت الرخيص لدرجة أن لاثمن لك!

السلام على الموتى

السَّلامُ على الأرواحِ الميتةِ المدفونةِ في الأَجسادِ التي أدمنت الإنحناء ... المكفَّنةِ بالأشمغةِ الفاخرةِ وسراويلِ جينز وفيرزاتشِي ... المتطيّبةِ بعطرِ سكوربيون وأرمانِي وكريستيان ديور ومنتجاتِ عبد الصّ◌ّ◌ّ◌َ◌َمد القَرشيِّ بيتِ المسكِ والعنبر!

نطقَ زردشتُ كفراً حين قال : إنَّ الآلهةَ إذا أرادتْ أن تقبضَ روحَ الغبِيّ أرسلتْ اليه عشرة ملائكة واحداً لقبضِ روحِه وتسعة لإقناعه أنَّه قد مات !

أيها السَّادة أَنعى إليكم أُمة العرب ، فالسَّلام على الموتى

السَّلام عليكم يومَ وُلدتم ويومَ امتطاكُم حكَّامكم

ويومَ ضَاعت الأندلُس

ويومَ عدتم شُعوباً وقبائِل ببركاتِ سايكس بيكو بعد أَن كنتُم (خير أُمَّة أُخرجت للناس)

ويوم أَحرقَ اليهودُ المسجِدِ الأَقصى

ويومَ احتلتْ أَمريكا حاضِرة هارون الرَّشيد

ويومَ علمتُم أَولادكَم السِّباحة والرِّماية وركوبَ الخيلِ والرقصِ بالسَّيف مع جُورج بوش

ويومَ نسيتُم خطبة الجهاد وأَنه ما غُزِيَ قومٌ في عقرِ دارِهم الا ذلّوا

ويومَ صفَّقتُم لباراك أُوباما وهو يخطبُ في الديمقراطية في عقر داركم ...
هنيئاً لكم فقد صارت القحباءُ تحاضِر في العِفة

ويومَ حاصرتُم غزَّة

ويومَ صَار التَّأهلُ لكأسِ العالمِ فرحةً عارمَةً تفوقُ فرحةَ فتحِ
القسطنطينية

السَّلام على دبلوماسيَّتِكم

جاءَ في تعريفِ الدبلوماسية عندَ معاوية بن أَبي سُفيان : لو أَنَّ بيني
وبينَ النَّاسِ شعرةً ما قطعتُها إن شدُّوها أَرخيتُها وإن أَرخوها شددتها

فما لي أَراكم متشبثين بطرفِ الشَّعرة التي قطَعها حكامكم منذ زمن

وعرَّف آرنست ساتو الدبلوماسية : هي الذكاءُ والكياسَة في إدارة العلاقاتِ
الرَّسميةِ بين حكوماتِ الدول المستقلة

فلتحيَا قبائِلكم المستقلةِ المتخمةِ بالسَّفارات الإسرائيليةِ والقواعدِ الأَمريكية

السَّلام على دبلوماسيتكم العبقرية التي صمتت دهراً ثم نطقت كُفرا حين

قالت إنَّ الحلَّ الأمثلَ لقضيةِ فلسطين هي أن يعيشَ الفلسطينيون واليهودُ في دولةٍ واحدةٍ أُسمها (إسراطين) فلا يمكن لشخصينِ إنتعالُ حذاءٍ واحد

السَّلامُ على دبلوماسيتكم الصَّامدة

فإنَّ صَائب عريقاتٍ متمسكٌ منذ زمنٍ بالثوابتِ ، فلا تفاوضَ ، ولا تنازلَ ، ولا اعتراف . غير أَنَّه لم يبقَ من الثوابتِ شيءٌ فقد تفاوضنَا وتنازلنَا واعترفنَا . وما زالَ الرَّجلُ مُصِرًّا على التمسكِ بالثوابت . ولم أَكن أَعرف ما هي الثوابتُ الوطنيَّة إلا حين التقيتُ بالعلامة نورس فيلكا الذي أَخبرني مشكوراً أَنَّ ثوابتنا هي ثيابنا الداخلية وما عدا ذلك شيء قابل للأخذ والرد . في الحقيقة طمأنني المبارك فيلكا بأنه مهما حدث فستبقى البضاعة مستورة

السَّلامُ على اتفاقيةِ الدِّفاع المشتركةِ فقد هُتكت الحُرمات في أبي غريب وقُصفت غزة بالفسفور الأبيض فلم يتحرك الدفاع ولا الهجوم ولا دكة البدلاء حتى!

السَّلامُ على الجيوشِ الباسِلةِ التي لم تربحْ حرباً ولم تستعدْ أَرضاً فلا فلسطين عادتْ ، ولا الجولان ، ولا جزر الامارات ، ولا حفنة حوثيين أرادت أن تزرعهم إيران شوكةً في حلقِ جزيرةِ العربِ هُزِموا

السلام على الجيوش الجرارة التي يوم اجتمعت صمدت ست ساعات

فدخلت كتاب غينيس من باب الخيبة والهزيمة

السَّلام على قبائِلكُم قبيلةً قبيلةً فإنَّ طالبان تذل حلف الناتو كل يومٍ أَلفَ مرة

السَّلامُ عليكُم فرداً فرداً وأَنا معكم كيف نبكي كالنساءِ مُلكاً لم نُحافظْ عليه كالرجال!

اللذيذ في كتاب التلاميذ

كتبَ الجاحِظُ كتاباً في المعلمين ، وجمعَ فيه نوادِرهم وحماقاتهم وما هم عليه في مقارعةِ الصِّبيان ، ثمَّ بدا له بعد ذلك أَن يمزِّقَ ما كتبَ.

وحدثَ أَنَّه أتى الكُوفة فرأى مُعلماً حسنُ الهيئةِ ، فسلَّم عليه فهشَّ المعلِّم له وبشَّ ، وردَّ عليه كأحسن ما يكونُ ردُّ السَّلام . ثمّ إنَّ الجاحظَ باحثَه في القرآنِ وأسبابِ النُّزول وفي المختلفِ والمتشَابه فوجده عارفاً حاذقاً ، ثمَّ ناقشَه في الفقهِ والنَّحوِ فكانَ فيهما على خيرِ وجهٍ ، وتجاذبا أطرافَ الحديثِ في اللُّغةِ وأشعار العربِ فإذا المعلم كاملُ الأدبِ ، فازدادَ الجاحظُ قناعةً في أن يعدِلَ عمَّا كتب.

وترددَ على المعلمِ أياماً يأنسُ بحديثِه ، ثم حدثَ أنّ الجاحظَ أتى الكُتَّاب ذاتَ صباحٍ فوجده مُغلقاً ، فسأل عن السبب فقيلَ له : لقد ماتَ للمعلمِ مَيْتٌ ، فحزنَ عليه وجلسَ في بيتِه للعزاءِ ، فقصدَ الجاحظُ دارَ المعلمِ ، ودنَا منه ، وخفف عنه ، مُذكِراً إياه أنَّ الموتَ كأسٌ وكلُّ الناسِ ذائِقه ، ثم سألَه عن صلتِه بالميْتِ:

أهوَ والدك ؟ فأجاب المعلم لا .

فأخوك ؟ فقال لا ، فزوجك ؟ فقال لا ، فقال الجاحظ إذا ما هو منكَ ؟

فقال : حبيبتي.

حينها هدَّأ الجاحظُ خاطره وقال له : إنَّ النِّساءَ كثيرٌ وستجدُ غيرهَا.

فقالَ المعلم وهل تظنُّ أنِّي رأيتها ؟!

فقال له الجاحظُ : وكيف عشقتَ ولم ترَ ؟

فقال كنتُ منذ أيام جالساً قرب النَّافذةِ فمرَّ رجلٌ وأنشدَ:

يا أُمَّ عمرو جزاكِ اللهُ مكرمةً

ردي عليَّ فؤادي كالذي كانَا

لا تأخذين فؤادي تلعبين به

فكيفَ يلعبُ بالانسانِ إنسَانا

فقلتُ في نفسِي لوْ لمْ تكُنْ أمَّ عمرو أَجملَ نسَاءِ الأَرضِ ما قال صاحبنا هذا فيها ، فعشقتها ، ثم مضتْ أيامٌ وجاءَ نفسُ الرَّجلِ منشداً:

لقد ذهبَ الحمارُ بأمِّ عمرُو

فلا رجعتْ ولا رجعَ الحِمارُ

فعلمتُ أنَّها ماتتْ ، فأغلقتُ الكتَّابَ وجلستُ للعزاءِ ، حينها قالَ له الجاحظ : حينَ رأيتك كنتُ قد عزمتُ على تقطيعِ كتابِ المعلمينَ ، أما الآنَ فإنكَ أَوَّل من أبدأ به!

هكذا وُلدَ كتابُ المعلمينَ على يدَي الجاحظِ ، فماذا عن كتابِ التلاميذ ؟

كتبَ أَحدُ زملائِي رسالةً إلى مديرِ التَّربيةِ والتَّعليمِ يشكُو إليهِ ظلمَ التلاميذِ

، وأخبره أنَّه دخلَ غرفةَ الصَّف وشرعَ يحدِّثُ التلاميذَ عن فضلِ العلمِ والعلماء ، وأنَّ أَوَّلَ ما نزلَ من الوحي كانَ (إقرأ) ، فردَّ عليهِ أَحدُ التَّلاميذِ قائلاً : ولكنَّ مُحمداً صَلى الله عليهِ وسلَّم قالَ : ما أَنا بقارِىء!

سبقَ أنْ أخبرتُكم أني كنتُ في الصَّف الثامنِ أشرحُ أدواتَ الشَّرطِ التي تجزم فعلين مضارعين ، (من / ما) ، وأني أخبرتُ طُلابي معلومةً في الدلالة ليستْ مدرجة في كتابِهم – ولم أكنْ أُريدُ من خبري هذا منهم جزاءً ولا شكورا– بأنّ منْ تفيدُ العاقل وما تفيدُ غيرَ العاقلِ ، بدلالةِ أنَّه إذا قُرِعَ البابُ نقولُ : مَنْ ؟ لأننا نتوقع أنَّ الطارقَ عاقلٌ ، فوقفَ خالدٌ وقالَ لي : لعلَّ الطَّارقَ قطةٌ طابَ لها أَنْ تقفَ على كُرسي.

لنَترُكْ خالداً وصَحْبَه قليلاً ، ولنذهبْ سوياً إلى قبل سبعة أعوامٍ حيثُ بدأتُ بالتدريس في بيروت التي تبعدُ عن مكانِ إقامتِي ما يكفِي لتجعلني أتشارك منزلاً مع علي ومحمد وأسامة.

في الصفِّ الثاني الابتدائي كان عليٌّ يسألُ تلاميذه عما يريدونَ أنْ يصبِحوا عليه حين يكبرون ، ففتح الطلابُ باب الأَمانِي بينَ طبيبٍ ، ومهندسٍ ، وطيَّارٍ ، غيرَ أنَّ تلميذاً قالَ : عندمَا أكبرُ أريدُ أنْ أُصبحَ بائعَ صِيصان!

جميلٌ أن يضعَ الإنسانُ نصبَ عينيه هدفاً قابلاً للتحقيقِ ، فجمالُ الأشياءِ

في بساطتِها ، وسر الحياةِ هوَ أَنْ نعرفَ ما نريد ، ونحدد حاجاتنا ، وأحلامنا دون خجلٍ أَو مواربة ، فإذا فعلنا هذا يكون ما تبقَّى جملة من التفاصيلِ الصَّغيرة!

في الصف الرابعِ الإبتدائي سألَ أسامة تلاميذه من يعطينِي فعلاً ماضياً ثلاثياً يبدأ بحرف علَّة وينتهي بحرف علة ، فسرحَ الطلاب طويلاً وكأنَّ على رؤوسهم الطير ، حتى كاد أسامة يُصاب بعلة ، غير أنَّ طالباً كسرَ جدارَ الصَّمتِ ورفَع يده قائلاً : ما أشهى رائحةَ الفاصُوليا!

ففي مخيم برجِ البراجنة الذي كنا ندرِّس فيه ، تلتصق البيوت ، بالدكاكين ، بالمدارس ، بالعيادات ، بأصوات النسوة في الصباحيات ، ويخلِّفُ هذا الإلتصاق سمفونية عذبة من الضجيج والروائح !

في نفسِ الصَّف أيضاً كانَ محمدٌ يشرحُ لهم خصائصَ الحيواناتِ البرمائية حينَ انفجرَ أَحدُ الطُّلابِ ضَاحكاً ، فسأله محمد عن السببِ ، فقال الطالب مشيراً إلى أَحدِ زملائِه : إنَّ والدَ وائِل يشبِه أرييل شارون!

وفي بيروتَ أيضاً كنتُ أمتحِنُ طلابَ الصف السَّادسِ في التعبيرِ ، وكانَ المطلوبُ أَنْ أُركِّزَ على تقنيَّةِ الوصفِ ، وبما أَننا كنَّا في أَواخِرِ رمضان كان الموضوع هو التالي:
ذَهبتَ بصحبةِ والديكَ إلى السوق لشراءِ ثيابِ العيد ، صِفْ ما شاهدتَه من لحظةِ مغادرةِ منزلكَ لحين عودتكَ ذاكراً شعورك.

وحينَ وصلتُ في التصحيح لورقة سليم ، وجدته كتب موضوعاً من ثلاثةِ أسطرٍ ، والأسطر الثلاثة عبارة عن كتابةٍ هيروغلوفيةٍ ، بلا نقاط ولا علامات ترقيم ، الشيءُ الوحيدُ المؤكَّد لديَّ أنَّ سليماً كانَ يحاولُ أن يقولَ شيئاً ولكنْ ما هوَ ، لمْ أكنْ أعلم ، فقد كانتْ محاولةَ كتابة غير واضحةِ المعالم!

كانَ صديقي محمَّد يجلسُ بجانبي مشغولاً بتصحيحِ أوراقِه أيضاً ، فقاطعته قائلاً : ما رأيكَ بطلاسمِ سليم ؟! استفزَّ هذا الكلامُ فضول عليٍّ وأسامَة ، فتحلقنا أربعة مدرسين حول ثلاثة أسطر من الخربشة ، نحللُ ونتكهَّنُ ، وبعد خمسةَ عشر دقيقة نجحنا في تحديد معالم الكلمات ، وشعرنا بالنشوةِ ذاتها التي شعر بها شامبليون حين فكَّ رموزَ الهيروغلوفية ، وكان موضوع سليم هو التالي:

ذهبتُ مع أمي إلى السُّوقِ لشراءِ ثيابِ العيدِ فشاهدتُ فتاةً تلبسُ ثياباً ضيِّقة وعدتُ إلى البيتِ مسروراً!!!!

بعدَ عامينِ من التدريسِ في بيروت ، عدتُ إلى صور ، لأجد أنَّه ليسَ بالامكانِ تدريسُ اللغة العربية ، فالبرنامج المتاح كان مادة الرياضيات ، والرياضياتُ لمنْ لا يعرفُ مناهجَ التعليمَ في لبنانَ تُدرَّسُ باللغة الانكليزية إعتباراً من الصَّف الخامس الابتدائي ، وهناك مدارسٌ تختصرُ الطريقَ وتدرِّسها من الأوَّل الإبتدائي ، المهم أني وجدتُ تدريسَ الرِّياضياتِ ممتعاً

ورائعاً ، وصادفَ أنَّ طلابي في تلك السَّنةِ في صفوفِ الخامس على عكس بقيَّة المدرسة مميزون باجتهادهم ، ولأنَّ اللحظات الحلوة لا تكتمل ، كان عندي تلميذٌ أسمه يحيى ، ويحيى يشبه إلى حد بعيدٍ جهاز الكمبيوتر بعد الفورمات ، فمن ناحيةِ أنَّ الجهازَ يعملُ فهو يعمل ، ولكنَّك لا تستطيعُ الإفادة منه في شيء ! ثمَّة برامجٌ أساسيَّة كانتْ تنقصُ هذا المخلوق الذي يفوقني وزناً وطولاً ، فالرحمن زاده بسطةً في الجسمِ ، ولكنَّه حرمَه النصف الآخر لطالوت!

كنتُ أُخرِجُ الطلاب الذين لم يقوموا بواجبهم لإعطائهم اللازم على تقصيرهم ، الغريب أنَّ يحيى كانَ يسألني : لماذا تريد أن تعاقبني وأنا لم أفعل شيئا ، وكنتُ أُخبره : إنك لم تقم بواجبك ، فيبكي ويقول لي : طيب أنا شو عملتلك ، وكل يوم من ده ، إلى أن تعبتُ منه ومن إخراجه

سألني يحيى بعد الامتحان الاول عن أدائه في الامتحان ، فأخبرته بأنني لم أُصحح بعد ، ولكني للأمانة استبشرت خيراً وقلت سبحانَ من يحيي العظام وهي رميم ، وحينَ عدت إلى البيتِ وجدتُ ورقته بيضاء كوردة الفل لا شِيَةَ فيها إلا اسمه

أعودُ بكم إلى حيثُ خالد وصحبَه ، فبعدَ أسبوعينِ من الحديثِ عن بطولاتِ الخليلِ بن أَحمد الفراهيدي وتلميذَه الأَخفشِ ، والكتابة العروضية والتفاعيل كتبتُ على السبورة : الخيل والليل ، فردَّ الكلُّ بصوتٍ واحدٍ

والبيداءُ تعرفني ! في الحقيقة صُعقت أنا وسألتهم من أين يعرفون البيتَ خصوصاً أنَّ هذا عامهم الأول مع العروض ، فقالوا لا إننا نعرفه من أبو العلمين حمودة ، فقلت لهم ومن أبو العلمين حمودة ، فقال لي جلال : له يا استاذ ، إعربي يا أُلفت!!!

وفي ذات اليوم أشتريتُ فيلم أبو العلمين حمودة والسيدة أُلفت ، وعدتُ إلى البيتِ لأعرفَ أنَّ روتانا سينما تعرضه على مدار الساعة!

وفي الصفِّ الثامن أيضا كنتُ أشرحُ صيغَ المبالغةِ وكنتُ أخبرهم أنَّ لصيغِ المبالغة خمسةَ أوزانٍ قياسيَّةٍ ، وبعضَ الأوزانِ السَّماعيَّة مثل فَعَّالة ، ويقابلها علامة أي كثير العلم ، ورحالة أي كثير الترحال فقال لي أَحمد : لعله سائق تاكسي يا أُستاذ!

بالله عليكم بعد هذا كله ، إن عشق معلمٌ أم عمرو ، أو أقام لها عزاءً هل يُلام ؟

صباح الخير هنا غزة

صَباحُ الخير هنا غزة

وحده الهواءُ حصل على تأشيرةِ دخولٍ هذا الصباح

أو لعله غافل حرسَ الحدود كما فعل صبيحة البارحة

الهواءُ متسللٌ بارع

وساعي بريدٍ يحمل اعتذار الطيبين على الجهةِ الأخرى من المعبر

وجدارٌ من أسفل...

وأمٌ تحصي ما تبقَّى من حباتِ الأرز

وأبٌ يحاولُ أن يتكهنَ أيٌّ أولاده سيظهر على الجزيرةِ (exclusive)

قِطعتين

وعجوزٌ توقف قلبُها احتجاجاً لأن زجاجة الدواءِ تأخَّرتْ في المجيء

وشيخٌ أنهى سورة الإسراءِ دونَ أن يسمعَ طلقةً واحدة ،

مخيفٌ هو صمت غزة !

وطفلةٌ تركتْ المركبَ بلا شراعٍ لأن القذيفةَ الأخيرة بعثرتها وبعثرتْ علبة التلوين

وصبيٌّ لم تنضجْ لغتُه بعد ليشرحَ لأخيه الرضيع العلاقة الجدلية بين حليب "نيدو"

وبين ضرورياتِ أمن مبارك القومي !

وعروسٌ كانتْ على بعد أيامٍ من ثوبها الأبيض

فطال الإنتظارُ لأن خطيبها ذهب ليضربَ صاروخين فلمْ يرجعْ بعد!

تصلحُ الألوان البيضاء للأكفانِ أيضاً

ويحدث في غزة أن يفترقَ العشاق على بُعد ذراعٍ من الحلم

ويحدثُ كثيراً أن تموت القُبلُ قبل أن تولد !

صَباحُ الخير هنا غزة

مدينةٌ لم تنمْ ليلة أمس !

لا لأنَّ ريدو جانيرو أقنعتها أن تجرِّب العربدة تحتَ ضوءِ القمر

فغزةُ لا تعرفُ من البحرِ سوى حصَارِ اللون الأزرق!

ولا لأن كؤوس المارتيني أطارت النوم من عينيها

فالمعدة الخاوية يكفيها صُورة رغيفٍ لتثمل!

بل لأنها كانتْ تحرسُ جرحَها من إخوتِها وأعدائِها في آنٍ معاً

لا يمكنُ تركُ الجروحِ مُشرعةً كالقمحِ للطيور الغادية!

لأنَّها تعرفُ أنَّ الوقتَ يجترُّ ثوانيه ألف مرَّة

وأنَّ التاريخَ حكواتي يمتهنُ سردَ القَصَصِ ذاتها

وأنَّ يوسفَ سَلِمَ من الذئبِ ولم يسلمْ من أخوته

ذَنْبُ يوسف أنَّه كانَ جميلاً ... جميلاً فقط!

على غزةَ أنْ تدفعَ ثمنَ جمالها

ثمن أنها جملة اعتراضية لا تشبه النصَّ الموجودة فيه

حاولتْ أن تكون جملةً مطيعةً بين فاصلتين فلم تفلح!

فاختارت _ بعد أن فشلتْ في ترويضِ نفسها _ أن تجوعَ ولا تعرى

ومن يومها وهي تخصفُ لتداويَ جروحها

وتواريَ سَوْءَة إخوتها بانتظار أن يستعيدوا رُشدَهم

صَباحُ الخيرِ هنا غزة

مدينةٌ غاية في الرفاهيةِ والهَاي هَاي

فقد بدأتْ تمارسُ اليوغا قبلَ جهجهةِ الضَّوء

وعما قليل ستتناولُ فطورها الخالي من الدسم حفاظاً على مستوى

الكوليستيرول

وقد تسرّحِ شعرها

ومن المؤكد أنَّها لن تنسى المانيكور والباديكور

وبعدها سترتشفُ فنجان قهوة على أنغامِ الموج ، ألمْ يضعها حظُّها الحلو

قربَ البحر ؟!

وقد تقرأُ كتاباً كمحاولةٍ لقتلِ المللِ فلا شيء لديها لتفعله

ما رأيكم بهذا الكذبِ الذي وردَ أعلاه ؟!

غزة مدينة موغلة في الزهد حتى النخاعِ رغماً عن اللي " خلَّفوها " طبعاً

إنها تربطُ حجراً على بطنها!

ريجيمٌ قسري ...

ووجباتُ فطور منزوعة من الكورن فلكس ...

والتوست المُقرمشْ ...

والجبنة التي تغني " سواح " بفعلِ الحرارة ...

وشاي الامير أحمد!

وغلاء البيبسي نصف ريالٍ خبزٌ تافه هناك ، فالغالبيةُ لم تكن تملك ثمنها

قبل هذا الغلاءِ الفاحش في الاسعار!

صباح الخير هنا غزة

حكومتان ولا دولة !

وصواريخ أصابها الكسلُ لأن الرنتيسي لم يعدْ يوقظها لصلاة الفجر

ولكن عياش ما زال يجري في دورتها الدموية

لأنها تأبى أن تتخلى عن هوايتها المفضلة إذلال جلاديها

فهي كل يوم تلقنهم درساً في حرب العضّ على الأصابع

لم تصرخْ غزة بعد رغم أنها فقدت تسعة اصابع

ما حاجة غزة للأصابع التسع ، ما دامت سبابتها منتصبة

بإصبعٍ واحد تؤدب غزة غزاتها

تعلمهم أنه لا يمكن تهديد حزمة بخور بعود ثقاب

فبالثقاب يحصل البخور على تأشيرة الشذى

ما أجملها وهي تتضوع عطراً

ما أجملها وهي ترقص في كرنفال البارود والنار

لعبة الذاكرة والنسيان

عقارب ساعتك بدأت بالتثاؤب ، فمنذ ما يقارب الساعتين تخطت منتصف الليل ... ها أنت جالس وحدك ... مشدود إلى ورقة وقلم كعادتك ...
حاولت أن تكتب شيئا ولم تفلح فعلى ما يبدو أن عقم الكتابة عاودك هذه الليلة أيضا ... قررت أن تتسلى بشيء آخر ... بسطت أصابعك وبدأت تعد الذين أحببتهم !... أنفقت في العد أصابع يديك، كم أنت طاعن في الحب يا ولد!

انتهيت من العد فازددت أرقا الى أرقك ... تمنيت لو أنك ما زلت في بيت أمك فربما أيقظها عطش الليل فشربتْ ثم تفقدتك كعادتها ... لكانت داعبت شعرك وطبعت فوق جبينك قبلة فامتصت كل ما فيك من أرق!

لا تعرف متى تعرفت إلى أمك... كل ما تعرفه أنك فتحت عينيك على الدنيا فوجدتها أمامك ... لا تذكر ذاكرتك متى أدمنت الأخضر في عينيها كل ما تعرفه أنّ غيابك عن الزيتون الراقد بين الجفنين يشعرك بأنك لا شيء ... الزيتون الرابض في عيني أمك هو (أل) التعريف التي تحولك من نكرة إلى معرفة!

متى التقيت بها لست تدري ... ولكنك تعرف تفاصيل الحكاية ... ذات صيف لم يأت أمك ما يأتي النساء كل شهر فاستبشرت خيرا وكنت أنت بشراها ! عذّبتها أول الطريق ولكنها أحبتك حتى الهلاك ... كانت تتحايل على الدوار والإعياء الذي يصيبها بتخيل تفاصيل وجهك كيف تراه يكون ... كانت ترسم حدود جبينك ولون عينيك وتعتقد قبل مجيئك أن كل امرأة عليك قليل ... وكنت أنت أنانيا تقتات على خيرها كما يقتات برغوث من دم شاة !

وأخذ بطن أمك يتكوّر وأنت في الداخل تكبر شيئا فشيئا إلى أن تحرّكت ذات مساء فشعرت أمك بأنها تملك الدنيا بأحشائها ... تحسستك ... تمنت لو تلمسك لمرة ... ملّت من الانتظار وما زال هناك خمسة أشهر ...
توقفت أنت عن الحركة لأيام فخشيت عليك ... كانت تبتهل إلى الذي زرعك في أحشائها أن يرعاك ... أن يأخذها ويبقيك ... وعدت إلى الحركة من جديد فبكت فرحا بعودتك ... وكنت طفلا شقيا حتى قبل مجيئك ... كنت ترفصها في خاصرتها فتسلبها نومها ولكنها لم تكن تتضجر بل كانت تنتظر بفارغ الصبر تلك اللحظة التي ستقبل فيها القدم الصغيرة التي سببت لها الألم ... ومضت الأيام كسلى ثم أتيت وإنه (لطز) بقدومك !

كل من رآك قال بأنك على قدر من البشاعة إلا أمك كانت تراك أجمل ولد ! كانت تريدك أن تكبر بسرعة ... أن تقول لها يا (أمي) متى تتكلم أيها الشقي ... متى تمشي فتهرع إلى حضنها كما يهرع الأطفال إلى أحضان أمهاتهم ملّ حضن أمك من الانتظار ... وأخذت تكبر شيئا فشيئا وبشهادة كل الذين عاصروا طفولتك كنت جنيا في هيئة بشر... كنت توقظ أمك في الليل مرات ومرات، أحيانا لترضع وأخرى لأنك كنت تحب حضنها أكثر مما تحب سريرك! وكانت هي تحضنك وتقبلك وكأنّ الذي سلبها نومها شخص غيرك ... كنت عندها بلا ذنب ... كل ما تفعله حلو ... حتى بكاؤك كان عندها قصيدة...

لم تكن تضربك أبدا ... لم تكن تصرخ عليك ... أول مرّة تعرفت على أمك حين تغضب كان يوم هربت عن المدرسة في ذاك اليوم لا تعرف ما حدث لها ضربتك وضربتك ولما تعبت عضتك في كتفك!
عدت الى المدرسة فاجتهدت ودرست وتخرجت من الجامعة والأخضر في عينيها يحرسك ...

تزوجت وسكنت قريبا من أمك ... بعد يومين من زواجك خرجت لتصلي

الجمعة وعدت مع العائدين ولم تستفق إلا وأنت في بيت امك ... قالت لك ما الذي أتى بك عد إلى امراتك ... قلت لها قد كنت عائدا ولكن قدماي قادتني إلى هنا ... بكت هي وبكيت أنت ومازحتها بقولك ما الحب إلا للحبيب الأول ... ضحكت وقبلتك في جبينك وقالت لك عبارتها الشهيرة باللهجة الفلسطينية (الله يرضى عليك يمة)

وحملت زوجتك ... الكل تمنى ذكرا إلا أنت تمنيت أنثى كي تسميها باسم أمك فتحققت أمنيتك وكانت ابنتك فاطمة !

تعلقت البنت بجدتها تماما كما تعلقت أنت بجدتك من قبل ... وها هي القصة تبدأ من جديد !

كانت جدتك ذاكرتك وكنت أنت نسيانها ... نسيت فيك موت جدك ... والحقل المسلوب وسنابل القمح التي غادرتها قبل أن تكتمل ... وها هي ابنتك تبحث في جدتها عن ذاكرة ... وها هي أمك تبحث في ابنتك عن نسيان ... وتستمر اللعبة ... لعبة الذاكرة والنسيان!

كنتُ حمارا

مَـلأنا البَـرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّـا

وَظَهرَ البَحْـرِنَمْلَـؤُهُ سَفِيْنَـا

إِذَا بَلَـغَ الفِطَـامَ لَنَاصَبِـيٌّ

تَخِـرُّ لَهُ الجَبَـابِرُ سَاجِدِيْنَـا

مُذْ خرجَ علينَا عمرو بن كلثومٍ بهذه الأَبيات ونحنُ مسكونونَ بعقدةِ التكاثر ، وقد استفحلت هذه العقدةُ فينا أَكثر يوم قالَ القائلُ معقِّباً على ابن كلثوم : لولا الإسلامُ لأكلت تَغْلِبُ العرب!

ورغبةً في أكلِ الآخرين ننجبُ معتمدينَ على استراتيجيةِ تغلب في التكاثر!

ولكن بدلَ أَن نـأكلَ إسرائيل قامتْ هي بأكلِنَا وهي تفكِّرُ في شرب النِّيلِ والتَّحليةِ بالفراتِ وقد سلبَنَا الأُسطولُ الخامسُ الأمريكي ظهرَ البحرِ أيضاً !

رغمَ كلِّ هذا فلا شيءَ يدعو للهلَع ، فحكامُنا بخيرٍ ، وكروشُهم آخذةٌ في التَّكور والإتساع ، وأَولياءُ العهدِ متوفرون لمئةِ عامٍ قادم.

أمَّا الأميَّةُ ، والفقرُ ، والقواعدُ الأَمريكية ، والمسجدُ الأقصى فأمورٌ تافهةٌ سَتُنَاقشُ في القِمَّة المقبلة !

ماذا لو توقَّفنَا عن الإنجاب ؟!

بالتأكيدِ إنَّ خللاً في نظامِ الكونِ لن يحدثَ ، كلُّ ما في الأَمرِ أَننا بعدَ مئةِ عامٍ من اليومِ سنفنى ، وسيحكمُ أولادُ حكامِنَا بعضَهم وسيذوقون الذي نذوقه الآن.

فتخيلوا معي وطناً عربياً يتحكَّم فيه أَفرادُ العائِلاتِ الحَاكمةِ برقابِ بعض

كُنتُ حماراً حينَ تزوجتُ وأَنجبتُ لأني بذلكَ وهبتُ الزُّعماءَ العربَ ظهرينِ جديدينِ مُسْرجينِ وجَاهزين للإمتطَـَاء!

كُنتُ حِماراً حينَ تشاجرتُ مع جدي لأمي حينَ قالَ : إنَّ بعض المفتينَ حَاخَامَاتٌ متنكّرون بالعمائِم ! وأَنَّ بعضَهم يفتي بإستخدامِ القِياسِ على طريقةِ جارتِهم أم أَحمد التي تأخَّر زوجُها في المسجدِ لأنَّ الإمام جمعَ المغربَ بالعشاءِ بسببِ غزارةِ المطرِ. فجمعتْ هيَ بعد شهرٍ لأن خزان مياهِ جيرانِهم قد امتلأَ وغمَر سطحَ منزلِهم ومنزلِها ففي المخيمِ عندنَا لا تعرفُ أين يبدأُ سطحُ جيرانِك وأينَ ينتهي سطحُك !

والشَّيءُ الذي يُشعِرني بطولِ أُذنيَّ وذيلي ، أَنَّ جدي قدْ ماتَ السَّنةَ الماضِية ، ولم يعدْ بإمكانِي أَن أقبّل يدَه ، ورأسَه ، وأَعتذر منه ـ فبعدَ فتوى الجدارِ قياساً على خندقِ سلمان الفارسي يومَ غزوةِ الأَحزابِ ، تأكَّدتُ أَنَّ حِواري مع جَدي لم يكن سوى نهيقٍ أَضفتُه إلى سِجِلّ حُموريَّتِي !

(إنَّ امرأةً دخلت النَّار في هرَّة لا هِي أَطعمتها ولا هيَ تركتها تأكلُ من خشاشِ الأَرضِ)

لقد فاتكَ الكثيرُ يا حضرةَ المتنكّرِ بالعمَامَة

كنتُ حماراً حينَ لم أُكمل دراستِي في كليَّةِ الدَّعوةِ والتحقتُ بدارِ المعلمينَ لكنتُ الآن صِرتُ مفتياً ولأفتيتُ أَنَّه أَيُّمَا خطيبِ جمعةٍ دعا لزعيمٍ عربِيٍّ

بطولِ العمرِ فإنَّ صلاتَه وصلاةَ الذين أمَّنوا على دعائِه باطلةٌ ولو كانوا في البيتِ الحرام !

كنتُ حماراً بأذنينِ تنطحانِ السَّحاب ، وبذيلٍ يكنِسُ الأرضَ ، حينَ درستُ اللُّغة العربيَّة بعد دار المعلمينَ. فقد كنتُ أَنهقُ منذُ أُسبوعٍ في الصَّفّ الثَّامنِ حول أَدواتِ الجزمِ التي تجزمُ فعلين مضارعين (من – ما).
وقررتُ أَن أَجترَّ أَمامَهم معلومةً في الدلالة ليستْ مدرجةً في كتابِهم ، ومفادُها أَنَّ (من) تفيدُ العاقل و (ما) تفيدُ غير العاقل ، وأَننا حينَ نسمعُ طرقاً بالباب نقولُ من لأنَّنا نفترضُ أَنَّ الطَّارقَ إنسَاناً . فوقفَ خَالد وقالَ لي : لعلَّ الطَّارقَ قِطةٌ طابَ لها أَنْ تقفَ على كرسِيّ !

كنتُ حماراً حينَ شعرتُ بالغثيانِ لأنَّ صديقِي كامِل حاولَ أَنْ يقنعنِي أَن ندرسَ الصَّيدلةَ بدلَ دارِ المعلمينَ وأَنَّ التعاملَ بالتحاميلِ أَفضل من التعاملِ بالأَلف باء وأَنَّ مؤخرات أَولاد ِالمخيمِ أَفضل من وجوهِهم وأَننا إذا أَصبحنَا مدرسين فسيكونُ مصيرنا كمصيرِ المساكين الذين درَّسُونا وإنَّه لا بدَّ أَن يرمينا طلابُنا بالطباشير حينَ نديرُ ظهرنَا لنكتبَ على السَّبورة كما كنَّا نفعلُ بمعلمِ الاجتماعياتِ أَو أَنْ يحضرَ النَّاظِر إلى غرفةِ الصَّف ليصطحبنا والكرسي ملتصقة بمؤخرتِنا بفعلِ الصِّمغ كما حدثَ مع مدرس اللُّغة الإنكليزيةِ وأَننا إذا نجونَا من هذا كلِّه فلنْ ننجوَ من الضَّغط والسُّكري!

المُهم أَن كامِل افتتحَ صيدليةً وأَخبرنِي أَنَّ النِّسوةَ يبتلعنَ حبوبَ منعِ حملٍ وأَنَّ الرِّجال يبتلعونَ حبوبَ فياغَرا أَكثر مما يبتلعُون من أَرغفةِ الخبزِ الملاصِقِ لصيدليَّتِه!

في حين صرتُ أَنا مدرِّساً وما زالتْ مؤخرتِي على موعدٍ مع التصاقٍ لا أَعرفُ متى يأتِي!

كنتُ حماراً حينَ قرَّرتُ أَن أَنهقَ هُنا في حين أَنَّه كانَ بإمكانِي أَن أَنهقَ في غرفةٍ مقفلةٍ ولكنْ على ما يبدو أَني لا أَعرفُ أَن أكونَ حماراً مثلَ

البشَر!

لم تكنْ هذه سوى هلوسات حمار فتكاثروا ولا تلتفِتوا لما كان من نهيق

وبالرفاه والبنين

تحياتي

عكا قمر ١٤

حمّى ما قبل البداية

صباحُ بحرِ عينيكِ الأزرق

والشوقُ كل يوم يا عكا أعمق

تفاصيل الحمّى

كيفَ حالكِ يا حُلوة

وغزلُ البحر في عينيكِ كيف

والمراكبُ التي تأوي لحضنكِ كل مساء كيف ؟

والسورُ الممتد حولَ عنقكِ كالقلادةِ كيف ؟

وحناجرُ المآذن التي تشربُ الغيمَ كيف ؟

والأرصفةُ المعتقة بالملح كيف ؟

هدّني الشوقُ ولم أَكنْ أعرفُ قبلكِ مدينةً

تحترفُ ذبحَ العشاقِ بالصَّمت

جلالتكِ هل تعرفينَ هذا البريدُ المخضَّب بالحنينِ ممن؟

.... إنه مني

لا تتعبي نفسكِ بنبشِ الذاكرة فنحنُ لم نلتقِ

لم تسرجي لي شعركِ لأمتطيَ صهوةَ الوقت

لم تكفنيني بيديكِ لأدركَ روعةَ المَوت

لم تمنحيني تأشيرةَ الكُحلِ لأقرأَ سيرةَ النوارس

... الحُبلى بحكايا البحر

لم تراوديني عن قلبي

لم تطلبي مني قتلَ كل اللواتي عرفتهن قبلك

انا قتلتهن بخاطري

ولكن لأجلِ عينيكِ

صباحُ الشوق أيتها الكنعانية الشقيَّة

صباحُ اللحظاتِ الموحشةِ بدونكِ

صباحُ القهوة التي فقدت رائحتها على غيابكِ

ما رأيكِ لو نستعيد صباحاتنا الماضية

فنجانُ قهوةٍ نرتشفه على الشرفة

... أنا وأنتِ فقط

ولنتقاسم الأدوار يا حُلوة

لكِ القهوة

... ولي عينيكِ

اقرأ فيهما أناشيدَ المراكب

ومذكرات الأشرعة التي تناطح الأفق

وأقرأ لهما كل ما كتبته فيهما

ألا يعتريكِ الفضول لتسمعي ما لم أقله يوما لفاتنةٍ من قبل

صَباحُ الدَّمعِ بقدر ما بكيتُ بعدكِ

صَباحُ الذكرياتِ بقدرِ ما أَنـهكتني مواعيدنا السابقة التي لم تحصل

صَباحُ اللَّهفة وكل من يلقاك يدمنكِ

... صَباحُ الموج

... صَباحُ الملح

... صَباحُ الإفتقاد

... صَباحُ الإنتظار

... صَباحُ الترقب

صَباح أشياء كثيرة

لا تستطيع اختزال المسافة الفاصلة بيني وبينكِ

بين أبي لهب وأبي طالب
وباراك أوباما

كانتْ جدَّتي تؤمنُ أَنَّ الأُمورَ السَّيئةَ كانَ بالإمكانِ أَن تكونَ أَسوأ ... فللهِ الحمدُ أَنَّ السَّيءَ قد وقعَ لأَنَّ الأسوأَ كانَ بالإمكانِ أَن يقعَ أَيضاً !

هذه الفلسفةُ في الحياةِ لم تكنْ تتماشَى مع طِباعِي اليوميَّة أبداً ...
وحينَ كنتُ أَسمعُها تحاضِر في جيولوجيَا المصائِبِ معتبرةً أَنَّ لكلِ مصيبةٍ وجهينِ كالقمرِ تماماً لا نرى إلا جانبَه المشرقِ ولكنْ من زاويةٍ ما فإنَّ له جانباً معتماً كنتُ أَختنِقُ بدخانِ الأَملِ المنبعثِ كالبخورِ منْ نارِ المصائبِ !

شخصياً ليسَ عندي شيءٌ ضِدَّ الأَمل ... على العكسِ تماماً فأنا ككلِ مواطنٍ عربيِّ أَحفظُ عن الأملِ قصصاً وأَقوالاً وأبياتَ شعرِ تكفي لإقناعِ أَكبرِ يائسٍ في العالَم بأنَّ الدقيقةَ القادمَةَ ستكونُ أَفضلَ من التي ماتتْ!

كمَا أنّي أُؤمنُ أَنَّ الأملَ هو الرَّغيفُ الصَّباحيُّ الذي يجِب أَن نتناولَه نحنُ النَّاطقينَ بالضَّادِ كي نمارسَ طقوسَ استغبَاءِ حكامِنَا لنَا بصورةٍ عفويَّةٍ دونَ الدخولِ في تفاصيلِ أَفعالنَا لأنَّ راقِصَ الباليه يرتبِكُ إذا ما راقبَ حركاتِ قدميهِ !

وتَوَّجتُ ذلكَ كلّه بقراءةِ روايةِ الأَملِ لِ أندريه مَارلو وهي روايةٌ تتحدثُ عن الحربِ الأَهليةِ الإسبانيَّة وتحديداً تلكَ الثورةُ التي قادهَا الجمهوريونَ ضِدَّ الجنرالِ فرانكُو فأثارتْ إعجابَ اليمينِ واليَسارِ على حدِّ سَّواءِ لأَنَّهَا جمعتْ بينَ البُطُولةِ ووحدةِ الأُمةِ وتناولتْ متَافيزيقيَا الحَياة الَّتي لا يدخلُ

ضِمنَ نطاقِها حياةُ القطيعِ العربِيّ الآخذِ بالتكاثرِ وبالمناسبةِ فإنَّ زوجتِي مدعومةً بأُمي تغرينِي منذُ أَيامٍ بفكرةِ إنجابِ طفلٍ ثالثٍ بالإضافةِ لفاطمةَ وملك على إعتبارِ أَنَّه لا أحدَ يموتُ منَ الجوعِ ثم إنَّ العشبَ كَثير !

إذاً أنَا لستُ ضِدَ الأَملِ أَو أَنَّ هذا هوَ الشيءُ الذي أُحاولُ إقناعكُم بِه !

كلُّ مَا في الأَمرِ أَني شخصٌ بحَاجةٍ إلى وقتٍ لأَقتنعَ ببساطةِ نظرةِ جدَّتِي للحياةِ رغمَ إيمانِي العميقِ بأنَّ ما أَصابنِي لم يكنْ ليخطِئنَي وأَنَّ مَا أَخطأنِي لم يكنْ ليصيبَنِي ، وأَنَّ الجنَّ والإنسَ لو اجتمعُوا على أَن ينفعونِي بشيءٍ لن ينفعونِي الا بشيءٍ قد كتبَه الله لِي وأَنَّهم لو اجتمعُوا على أَنْ يضرونِي لن يضرونِي الا بشيءٍ قد كتبَه اللهُ عليّ ، وأنَّه رُفعت الأَقلامُ وجفَّت الصُّحف.

وإني بحاجةٍ إلى وقتٍ أَطولَ لأَقتنعَ أَنَّ هذا الواقِعَ العربِيَّ هو الشَّيءُ السَّيءُ وأَنَّ شيئاً أَسوأَ كانَ بالإمكانِ أَنْ يكون!

حاولتُ أَن أطبقَ فلسفةَ السَّيءِ والأَسوأ على الواقعِ العربِيّ الذي يسيرُ مترنّحاً كَسِكّيرٍ فازْددتُ كُفراً بالأَنظِمَةِ ! وحاولتُ أَن أُطبقَهُ على النّظامِ العالميّ فازددتُ ردةً بوجهِ مجلسِ البلطَجَةِ وهيئةِ اللَّممِ المتحدةِ التي تتفرقُ على كلِ شَيءٍ بدءاً بالأَسلحةِ النوويةِ وانتهاءً بالإنحباسِ الحراريّ وتتحدُ إلاَّ علينَا !

السَّيءُ أَنَّ أَبا لهبٍ يقيمُ جداراً فولاذياً بينَه وبينَ شِعبِ أبي طَالبٍ لأَنَّ سُكَّان الشِعبِ أَولادُ كلبٍ يؤمنونَ أَنَّ إسرائيلَ شيءٌ قابلٌ للهزيمةِ وهم وقِحونَ لدرجةِ أَنَّهم سيبقونَ يقاتِلونَ حتى الرَّصَاصَةِ الأَخيرةِ برغمِ أَنَّ خديجةَ ماتتْ وأَبا طالبٍ صَارَ تحتَ التُّرابِ فإنَّه عامُ الحزنِ!

والأَسوأ أَن يأخذَ أبو لهبٍ من كلِّ قبيلةٍ رتلَ دباباتٍ ويضربَهُم ضربةَ رجُلٍ واحدٍ فيتفرقَ دمُهم بين القبائِل وبذلكَ تفرحُ أَمريكا وتنتشِي إسرائيلُ ويرثَ لهبٌ الحكمَ عن أبيهِ وتستردَ قريشٌ هيبتَها بينَ القبائِل!

السَّيءُ أَنَّ بَاراك حسين أُوبامَا الذي ارتدَّ عن الإسلامِ واعتنقَ النَّصرانيةَ حازَ على جائزةِ نوبل للسَّلامِ رغمَ أَنَّ جيوشَه تحتلُ العراقَ وأَفغانستَانَ وأُسطولُه الخامسُ يعيثُ في البحرِ المتوسطِ فساداً وال سي آي إيه تحكُمُ حكامنَا بالحذاءِ والسجونُ السريَّةُ تنتشرُ في بقاعِ الأَرضِ فعلى ما يبدو أَنَّ جائزةَ نوبل صارتْ تُمنحُ للنَّوايَا لا للأفعَالِ لأَن من حديثِ الرَّجُلِ تفهمُ أَنَّ نيتَه سليمة ولكيْ تزدادَ إيماناً بنيَّتِه أَغمِضْ عينيكَ عن دفعةِ الجنودِ الأَخيرةِ الَّتي أَرسلهَا لأَفغانِستَان !

والأَسوأ أَنْ تنالَ زوجتُه القبيحةَ لقبَ ملكةِ جمَالِ العَالم فشخصِياً لم أَعُد أَستغربُ شَيئاً فالأَمريكانُ قادرونَ على إقناعِكَ بأي شيءٍ ولو كانَ هذا الشَّيءُ مفادهُ أَنَّ ميشيل أُوبامَا أجملُ من أَنجلينَا جولِي أَو جينفَر أَنستون أو ملكةَ جمالِ العَالم كايَان الدورينو وهيَ مواطنَةٌ من جبلِ طَارق

وبالمناسبةِ هذهِ هيَ أولُ مرَّةٍ أَعرفُ أَنَّ جبلَ طَارقٍ هي دولةٌ مستقلَّةٌ وبإمكَانِهَا ما شاءَ اللهُ وبلا حسدٍ تصدِيرَ ملكَاتِ الجمَالِ أيضَاً ومن أينَ ليَ أَنْ أَعرفَ إنْ كانتْ لا تشاركُ بكأسِ العَالمِ وليسَ فيهَا مراسلٌ للجزيرةِ ولا عضوٌ واحدٌ في تنظيمِ القَاعِدةِ فتتهمُه قناةُ العربيَّة بأنَّه يخفِي بن لادن !

السَّيءُ أنّي كلَّما كتبتُ عن الواقِعِ السَّيءِ أَشعُر بأَلمٍ في معدَتي والأسوأ أنَّه لا شيءَ مفرِحٌ عندي أُشرِكُكُم بِه فاعذرونِي

كان وطنا

ملء القلب يا جدي

وَكَانَتْ تَقولُ لِيَ : وَرِثْتَ مِن جدِكَ لونَ عَينَيهِ وَنَبرةَ صَوتِه وَعِنَادَه

وإنِّي حِينَ أَنظُرُ إليكَ أراهُ ...

كَأنَّكَ هُو ... أَو كَأنَّه أَنتَ ...

حُلْمُه حُلمَكَ ... وَمَرضُهُ مَرضُكَ ... وَطنٌ مِلءَ القَلبِ ... قَلبٌ مِلءَ الوَطَن !

كَانَ وَطَناً مِلءَ القلبِ يَا جَدي

يَا لِبخلِكَ ! لَمْ تتركْ لِي إلا مَنفاكَ!

أَتأمَلُ عَينَيَّ فِي المِرآةِ وأَبْحثُ عَنكَ

لَيتكَ هُناكَ لَكُنتُ أَغلقتُ الأَبواب دُونَكَ

وقُلتُ : هَيْتَ قَلبِي ، كُله لكَ

واللونُ البُنيّ نَافِذةٌ تُفضِي إلى جِدار

غَصَّتْ بِيَ الطُرقُ يَا جَدِّي

تَقيأَتنِي المَطَاراتْ

الكُلُّ يَبْحثُ عَنكَ فيَّ ، فَمَا الذي اجترَحَتهُ يَداكَ ؟

حَاولتُ أَنْ أُخفِيكَ عَنهُم ولكِنَّ رائِحةَ القمْحِ فِيكَ فضَحتنِي

لقَدْ عثَرُوا عَليكَ

وجَدُوا عَكَا معَكَ

يَا لِوقَاحتِكَ ! أَكُلمَا تمدَّد رجُلٌ على شَاطِىءٍ طَالبَ بملكِيَّةِ البَحر؟!

كَانَ وطَناً مِلءَ القَلبِ يا جَدي

وكنْتَ أُمياً يكتُبُ سنَابِلَ القَمحِ بإتقَانٍ

فَواصِلُكَ أُقحُوانٌ

نُقاطُكَ زعْترٌ بَرِيٌّ يَصرُخُ مِلءَ الحُنجُرةِ أَنْ هَلمُّوا إلـيَّ

هَمْزتُكَ عُشٌّ دُورِيٍّ فَتَحتَ له القَلبَ وأَسْكنْتَه بينَ سُنبُلتَين

وكَانَ المِنجَلُ مِمحَاتُكَ بعدَ أَنْ تيبَسَ الكَلِمَات

قُصَّ عَليَّ حِكَايَةَ القَمحِ مَرَّةً أُخرى

إِقرَأ عَليَّ تَراتِيلَ المِحْرَاث

إِهمِسْ بِأذُنِي فإنِّي سَأَكتُمُ عنكَ تفَاصِيلَ البِذَار

لَنْ أُخْبِرَ أَحداً بِطقُوسِ الدَّفْنِ

لَنْ أشِيَ بِكَ

فَقد صَارَ القَمْحُ رغِيفاً يَا جَدي وَمَا كَانَ كَان

كُلْ رغِيفَكَ عَن آخِرِه

فَعَمَّا قَلِيلٍ سَتكُونُ مَدفُوعاً بِالأَبوَاب

كَانَ وَطَناً مِلءَ القَلبِ يَا جَدي

فَكيفَ لَمْ يَعدْ لكَ فيهِ مُتَّسَع

أَلَمْ تَكُنْ هُناكَ قَبلَ أَنْ تَعرفَ السُّفنُ حَكَايا المَوج ؟

وقَبلَ أَنْ تَخْبَرَ الفَرَاشَاتُ مِزاجَ الوَرد

أَلَمْ تَقتُلكَ كِنعَانِيةٌ وتَدفِنكَ فِي عَينَيهَا

حَتى قَبلَ أَنْ تَعرِفَ نِسَاءُ الأَرضِ بَطْشَ الكُحْل؟!

قُمْ واصْرُخْ مِلءَ الكَون

وليَصْدَحْ صَوتُكَ فِي أَرجَاءِ المَجَرَّة

يَا رجُلَ الكِنعَانِياتِ اللواتِي لَمْ يَعْرِفنَ الخَطِيئَة

اللواتِي يَحمِلنَ الحُبَّ فِي قُلوبِهنَّ كقُنبُلةٍ مَوقُوتَةٍ ضَبَطَهَا مَجنُون

فَلا يَعرِفنَ مَتَى تُطِيحُ بِكَ ... وبِهِنَّ

المُتَضَمِخَاتِ بِوِدَاعَةِ الزَّيزَفُونِ وشَرَاسَةَ القُرنْفُل

الكِنعَانِياتُ أَخْطَرُ نِسَاءِ الأَرضِ يَا جَدَّي

عُيونُهُنَّ مَنفَى وأَحضَانـهُنَّ وَطَـن

كَانَ وطَناً مِلءَ القَلبِ يَا جَدي

وكَانَ القَلبُ مَفتُوحاً عَلى مِصْراعَيهِ للطُيُورِ المُهَاجِرَةِ كُلَّ عَام

فَلِمَاذا أّخْلفْتَ هَذا العَامَ مَوعِدَكَ

الدَّالِيَةُ تَتَفَتَّقُ عَنْ عِنَبِهَا لأَجْلِكَ

والمَطَرُ إذْ يَغْشَى المَكَانَ فَلِكَيْ يَسْتَحِمَّ بِكْ

كُلُّ شَيءٍ يَمُوتُ اشتِيَاقاً إليكَ ... ويَكْرَهُهُم

السَّنَابِلُ تَصْرخُ مِن قَسْوةِ مَنَاجِلِهِم

الخِرافُ تَلعَنُ مُوسِيقَاهُم

ومِزْمَارُكَ حُلُمٌ لا يَخْنُقهُ حَدُّ السَّكِين

الجُدرانُ تَصَدَّعت مِن قِصَصَ جَداتِهِم المُغَمَّسَةِ بِالدَّم

حَتى الهَواءُ يَا جَدي تَعِبَ مِن لُغَتِهم الرَّكِيكَة

وإنَّي أَراكَ هُنَاكَ ولا أَراهُم

كَانَ الحَقلُ لكَ ... وسَيبقى لك

كَان وطَناً مِلءَ القَلبِ يَا جَدي

وسَيِبقَى القَلبُ لكَ ...و سَيبقَى الوطَنُ لَك

هذا الكتاب عبارة عن نصوص تمت كتابتها في منتدى الساخر بين بداية العام ٢٠١٠ ونهاية العام ٢٠١٢ وشاء الله لها أخيرا أن يلتئم شملها في كتاب مع تمنيات كاتبها أن تجدوا فيها جملة مفيدة أو اقذفوا الكتاب في وجه صاحبه كما فعل مدرس اللغة العربية !



قس بن ساعدة

كِشْ ملك